

كلمة صغيرة

نتيجة مرفوضة

... وتقاتل إخوة الجهاد في صراع دام مؤلم لكل مسلم مخلص ، والعجيب أن كل واحد من المتقاتلين يرفع راية الإسلام بل راية الجهاد، فهل تكون ثمرة ذلك الجهاد المشرف لتحرير أفغانستان والذي رفع رؤوس كل المسلمين.. هل تكون ثمرته هذه الفوضى الجسيمة، وتلك الحرب الداخلية الشرسة؟! إن نتيجة ذلك ليس سوى الهدم لتلك المواقف المشرفة لذلك الجهاد والطعن في نزاهة الإسلاميين عموماً ، وادعاء الشامتين بأن هذا هو مصير كل توجه إسلامي .. فهل يعلم الإخوة المتقاتلون من المجاهدين جسامة ما أدى وسيؤدي إليه ذلك القتال؟! إننا ندعو إخوة الجهاد للتوقف والتأمل في خطر ما يصنعون: هل هو يرضي الله؟ وما حكم سفك دم مسلم بغير حق؟ فكيف بالعشرات بل المئات؟! إن تقاتلكم -أيها المجاهدون- إساءة للإسلام وللمسلمين عموماً وانتكاسة لا مبرر لها فحتى متى لا تجيبوا داعي الله ((وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما))، إن من الأهمية بمكان دراسة أسباب هذه الانتكاسة وستجدون أن السبب جوانب تساهلت فيها من الولاء والبراء والإيثار ونكران الذات.

والله المستعان.

الافتتاحية

رمضان بين الصورة
والحقيقة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد:

تقوم مجلة البيان انطلاقاً من رسالتها الإسلامية بالتفاعل مع واقع أمتنا الإسلامية دعوة وتوجيهاً وأمرأً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، نصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. وواقع أمتنا اليوم يحفل بالكثير من المشكلات والمآسي التي يعاني منها جل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وكنا نتحين الفرص لمعالجة بعض الأحداث والمواقف ، إلا أن إطلالة هذا الشهر الكريم بإشراقته وأنواره حاملاً معه البركات والخيرات ، جعلتنا نتوقف مع هذه المناسبة وقفة عرض ومحاسبة لأحوالنا في هذا الشهر وواقعنا فيه بين الصورة والحقيقة ، وما مدى التزامنا فيه

بالهدي النبوي ، وماذا يتوجب علينا أن نقوم به لنكون فيه من المقبولين إن شاء الله.

هذا الشهر الذي تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب جهنم وتصعد فيه الشياطين ، هو فرصة كبيرة لعودة كثير من المسلمين المسرفين على أنفسهم إلى الله توبة وهداية والتزاماً وحسب من صامه إيماناً واحتساباً أن يغفر له ما تقدم من ذنبه ، كما قال بذلك الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-.

فقد كان هذا الشهر المبارك غرة في جبين تاريخ أمتنا كل عام ، وقد كان شهر الفتوح والانتصارات ، إذ إن كثيراً من الغزوات والمعارك الإسلامية كانت فيه من مثل (غزوة بدر وفتح مكة وفتح الأندلس وحطين...) . ومما يؤسف له أن يتحول كثير منا في هذا الشهر إلى النقيض تماماً عما كان عليه سلفنا الصالح فيكونون في أحوال يرثى لها.

فتعالوا نتلمس آثار ذلك الشطط فيما يلي:

* من الناس من يستغل هذا الشهر للسفر والسياحة لا لطلب الجو المريح والمناخ الجميل الذي يعينه على الصيام والقيام ، وإنما للهروب من الجو الرمضاني ليعاقر المنكرات ويبارز الله بالمعاصي والعياذ بالله وهؤلاء أحياناً قد يضطرون لصيام قسري لعلاج أمراض معينة.

* هناك صنف آخر من الناس يأخذون الإجازات في هذا الشهر ، فليُهم سهر ويقظتهم نوم ، فأى صيام هذا الذي لا تؤدي فيه الفرائض والسنن؟!

* من الصائمين من لا يلتزم بأخلاقيات الصيام في تعامله، فتجده وهو الصائم عبوساً قمطيراً ، وإن تحدث لا يعف لسانه عن الوقوع في الغيبة والنميمة وخلافها.

* إن أحوال كثير من المصلين وقد أشرنا إلى بعض صورها مما يؤسف لها إذ فيها محاذير شرعية قد تصل إلى إحباط العمل ، وربما ينطبق على الكثير منها ما جاء في الحديث (رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، ورُبَّ قائم ليس له من قيامه إلا التعب والسهر) ، وهذا يقتضي من كل مسلم مخلص مراجعة حساباته في بداية هذا الشهر الكريم وأن ينظر لهذا الموسم بأنه فرصة كبرى ومجال مهم لتلافي الكثير من الأخطاء والزلات ، لعل الله أن يتداركه برحمته ، وأن يختم له بالحسنى ((وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت)).

إن قضاء هذا الشهر كما ينبغي وفقاً لسنة البشير النذير شرف عظيم لا يحظى به ولا يوفق له إلا الربانيون المقتدون بسنة خاتم الأنبياء والمرسلين ، ولعل القارئ الكريم أن يقف معنا متأملاً لهذه المعالم المهمة التي نذكر بها ، والذكرى تنفع المؤمنين ، ومنها: استشعار أن الصيام عبادة لا عادة وأن ثمرته المفترضة هي التقوى إذ أن الحكمة منه كما أشار إليها جل وعلا ((... لعلكم تتقون)) هي التقوى.

زيادة الارتباط بكتاب الله حفظاً وقراءة وتدبراً ، والاطلاع على ما تيسر من تفاسيره الموثوقة ، ومن أجلها (تفسير العلامة ابن كثير) ، ومن أهم مختصراته (عمدة التفسير) للشيخ أحمد شاكر.

أن يكون الصيام كما كان عليه حال سلفنا الصالح تنافساً في الطاعات وتزوداً من النوافل والقربات ، ومن أهمها أداء الفرائض مع جماعة المسلمين والحرص على أداء صلوات التراويح والقيام وبذل الصدقات للمحتاجين ، وتجنب كل ما يطعن ويفسد الصيام من الأقوال والأفعال.

التفاعل مع واقع إخواننا المسلمين المستضعفين في أرجاء العالم الإسلامي بالبذل والمساعدة والمشاركة ما أمكن في الإغاثة، ودعم المشاريع الخيرية التي يعود ريعها لإخواننا المنكوبين.

إن أداء الصوم مع الصائمين من المسلمين والإحساس بالجوع والظماً يذكرنا بحال إخواننا المنكوبين ، وما يعانونه من جوع ومسغبة ، مما يدفعنا إلى بذل المزيد من التبرعات والهبات لصالح المشاريع الخيرية ، التي يعود ريعها لصالحهم.

وماذا بعد رمضان؟!

إن حال كثير من المسلمين في رمضان تتحسن ويتضاعف العمل الصالح فيه ولكن ما إن تبدأ أيام الشهر بالانصرام ، وبعد حضور بعضهم ليلة القدر فيما يحسبون ، وحضور ختمة القرآن كما يحرصون يبدأ ذلك المشهد الفريد الذي تمتلئ فيه المساجد بالمصلين بالانفراط، فتتناقص الصفوف وكان القوم لا يعرفون الله إلا في ذلك الشهر المبارك والله المستعان.

ثم من يضمن أن يختم لذلك الناكص بخاتمة حسنة حينما يعود لمعاصيه وأخطائه وزلاته وسقوطه في دركات الخطايا؟! من يضمن له حسن الختام وهو لا يدري متى تكون النهاية المحتومة؟! إن حياة المسلم الحق رجلاً كان أو امرأة يجب أن تكون موصولة كل الصلة بالله تعالى كل أيام السنة ، بل يجب على الجميع أن يستشعروا أن كل ما يقومون به من أعمال شرعية ، أو حتى عادية يجب أن يقصد بها وجه الله والدار الآخرة ، أداء للواجبات وعملاً للصالحات مع الحرص في أدائها على أحسن وجه جودة وإتقاناً.

إن المسلم حقاً يشعر أنه على ثغر من ثغور الإسلام ، فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبله، مع الحرص على أن يؤدي ما أوُتمن عليه بحماس وحيوية وإخلاص، فلعل الله أن يختم له بخير ختام. والموفق حقاً والمقبول إن شاء الله من استمر على نشاطه وحيويته بعد رمضان في أداء ما افترض عليه من عبادات وواجبات والتزامات ، واهتدى بهدي البشير النذير -صلى الله عليه وسلم- في سلوكه وتعامله.

والله نسأل أن يوفق الجميع لصيام هذا الشهر وقيامه على الوجه الذي يرضيه، وأن يعز الإسلام والمسلمين، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته بعز عزيز أو بذل ذليل.. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

في إشراق آية (وأن تصوموا خير لكم))

د. عبد الكريم بكار

كان من مئة الله تعالى على هذه الأمة أن شرع لها من الدين ما يصلح أمر دنياها وآخرتها، وكان من أهم ما شرعه صوم شهر رمضان المبارك. والعبادات في الإسلام تكاليف ابتلاء، ومقياس يكشف عن مدى تمكن الإيمان وألقه في نفس المسلم، وهي في الوقت ذاته وسائل لتمكين ذلك الإيمان، إنها له بمثابة الماء للشجر والنبات. وآيات الصيام لم تعدد لنا أنواع الخيرات التي سنحصل عليها من وراء هذه العبادة؛ ليظل عطاء هذه العبادة مفتوحاً متنوعاً تظهره التجربة التاريخية الاجتماعية، والواقع المعاش، ونستطيع الآن من خلالهما أن نتلمس وجوهاً من ذلك الخير في المفردات التالية:

1- إن الصيام وسيلة فعالة لتربية الإرادة الحرة:

حيث لا توجد عبادة من العبادات تكف المسلم عن شهواته وملذاته مدة متصلة من الزمان كهذه العبادة، فهي تدريب لإرادة المسلم على مقاومة الأهواء والملذات ومغريات الحياة. والتمامل فيما يتفاوت فيه الناس في هذا الوجود يجد أن محور التفاوت هو الإرادة لا القدرة، فالقدرات الفطرية لدى الناس متقاربة لكن تفاوتهم الأساس يكون في مدى صلابة الإرادة التي تُسخر القدرة وتوجهها والتي تعين على ضبط الوقت، وتكبح جماح الهوى والركون إلى الدعة وسفاسف الأمور، ومن هنا فإن الصيام جاء لينمي تلك الإرادة وليُعوِّدّها التوجه إلى الخير ومقاومة نزوات النفس؛ ولذا فإن تفريط المسلم في أداء هذه الشعيرة صار لدى العامة من المسلمين مؤشراً إلى نقص في رجولته، وهذا هو تفسير قيام كثير من المسلمين بالصيام مع تفريطهم في الصلاة، مع أن أهميتها في الإسلام أعظم! ويذكر لنا ابن الجوزي (ت 597 هـ) أن هناك صنفاً من الناس لو ضرب بالسياط على أن يفطر رمضان ما أفطره، ولو ضرب على أن يصلي ما صلى! وما ذلك إلا لأن الناس عدوا الإفطار نقصاً في الرجولة، ولم يعدوا الصلاة كذلك، وقوله سبحانه: ((وأن تصوموا خير لكم)) في أعقاب ذكر الرخصة للمريض والمسافر بالفطر إيماءة للمسلم بأنه من الأفضل له أن يصوم مع المرض المحتمل والسفر غير الشاق، ليكون في تحقيق إرادته نوع من المكابدة والمعاناة في سبيل الله عز وجل، وحتى لا يصير بعض الناس إلى إيجاد الرخص والتذرع بها للفرار من الواجبات.

2- الصيام عبادة سلبية، كيف؟

فهو امتناع عن أنواع المفطرات، ومن ثم فإنه بعيد عن الرياء، وخرق تلك العبادة أمر ميسور في السر لمن أراد ذلك، ومن هنا فإن صيام رمضان فرصة لتنمية الوازع الداخلي لدى المسلم، هذا الوازع الذي تعد تنميته محور التربية

الفردية الناجحة، والملموس أن تعاضم هذا الوازع لا يتم إلا من خلال الثقة به والاعتماد عليه في شؤون عديدة ، فهو في ذلك أشبه شيء بعضلات الجسم في أن نموها في استخدامها وتحريكها والاعتماد عليها؛ ولذا فإننا نرى ضعف الوازع الداخلي لدى أولئك الذين يأتون الفضائل ويقومون بالواجبات من خلال قسر الأبوبين أو المجتمع، فهم يفعلون ما يفعلونه نتيجة ضغط خارجي، فإذا ما ضعف ذلك الضغط أو تلاشى أتوا من الرذائل والقبائح وأنواع التحلل ما يتناسب طردأً مع حجم الضغوط التي تعرضوا لها فيما مضى؛ وهذا يجعلنا نساوق بين الرقابة الاجتماعية وتنمية الوازع الداخلي من خلال التربية البيئية القويمة.

3- في الصيام فوائد طبية واقتصادية واضحة:

فهو يخلص الجسم من بعض ما تراكم فيه من الدهون ، ويريح المعدة من العمل الشاق الذي تقوم به على مدار السنة مع فوائد طبية أخرى معروفة.. وفي الصيام توفير إجباري لنحو 40 % من استهلاك الأطعمة والأشربة الذي تعوده الناس في أيام الفطر ، وفي هذا نوع من التعظيم للمالية الإسلامية ونوع من المحافظة على الموارد الغذائية للأمة المسلمة.

4- من خيرات رمضان أنه أضحى ظرفاً لأداء أنواع من القربات لله:

فقد تجاوز صيام هذا الشهر مفهوم التلبس بعبادة من العبادات ليصبح نوعاً من الامتثال لمفردات كثيرة في المنهج الرباني ، ففيه قيام الليل والإكثار من قراءة القرآن والاعتكاف في المساجد ولزوم الجماعات من قبل كثير من المسلمين وإخراج صدقة الفطر والاستبشار بعفو الله وكرمه بما تظهر الأمة من البهجة والسرور في يوم عيدها ، فكان شهر رمضان مناسبة لازدحام العبادات والقربات في حياة المسلم على نحو لا يتوفر في أي وقت آخر.

5- يمثل الصيام نوعاً من الاتصال والتواصل الاجتماعي:

حيث ترسم الظروف اليومية والمصالح والأوضاع الاجتماعية والطموحات الخاصة مجموعة من الأطياف العازلة لكل إنسان عن غيره مما يؤدي إلى فقد الاتصال أو ضعفه، وفقد الاتصال في مجتمع ما من أكبر المعوقات له عن النمو والتجانس والصمود في وجه الكوارث وألوان العدوان الخارجي، ومن ثم فإن امتناع أبناء المجتمع المسلم عن الطعام في وقت واحد مهما كانت أوضاعهم الاجتماعية وتناولهم له في وقت آخر محدد، إلى جانب الشعائر الجماعية الأخرى التي تعودها المسلمون في هذا الشهر المبارك من أهم ما يوحد الشعور بالتجانس، ومن أهم ما يزيل الحواجز التي تولدها الظروف المختلفة.

الصيام اليوم:

إن مهمة المبادئ العليا أن تكيف حياة الناس وتوجهها وفق مضامينها ومعطياتها ، لكن تلك المبادئ لا تعمل في فراغ، وإنما تشتبك مع أمور عديدة

من جملتها: العادات الموروثة والظروف الضاغطة والأهواء والشهوات الجامحة والتأويلات والأفهام الخاطئة للمنهج والمباديء، وهذا كله ينتهي إلى شأن اجتماعي معاش يلخصه ميل الناس بصورة دائمة إلى جعل النهج الرباني جزءاً من ثقافتهم، وقد يكون جزءاً صلباً، وقد يكون جزءاً رخوياً على مقدار إقبال الناس على الإسلام وهي التي تجعل من المنهج موجهاً للثقافة ومهيماً عليها. ومن هنا فإن أخطر علل التدين هي تلك التي تصيب الأمة في مكانة منهجها ومبادئها من ثقافتها العامة، فتكف المبادئ عن توجيه الفعل، أو تنحرف عن غاياتها ومقاصدها، فلا تحقق الحكم المقصودة في تشريعها، ويكون الجهاد الدائم هو محاولة الإبقاء على المنهج الرباني ساطعاً متألّقاً متميزاً عما تواطأ عليه الناس من عادات وتقاليد.

وما زال بحمد الله في مجتمعنا المسلم من يحرص على الصيام على الوجه الأكمل، وهم في تزايد مستمر لكن الأثرية الكاثرة من هذه الأمة انحرفت بالصيام عن مقاصده التي ذكرنا أهمها آنفاً، فعلى حين كان السلف يعدون رمضان فرصة سانحة يغتنمونها في صنوف الطاعات، نجد كثيراً من المسلمين يسهرون الليل في ضروب من اللهو المختلفة حتى إذا اقترب وقت السحر تناولوا ما لذ وطاب من الأطعمة، ثم ناموا قبل أداء صلاة الفجر، وإذا كان هذا النائم موظفاً فإن وقت بداية العمل في رمضان يكون متأخراً، فيقوم متأقلاً إلى عمله ليكمل نومه هناك! وإن كان غير موظف فإن رمضان هو شهر النوم عنده فيستغرق في نومه إلى قبيل المغرب، فيفوت عليه أكثر من فريضة صلاة!! ومع هذا فإن الشعار المرفوع لدى كثير من الموظفين هو أن رمضان شهر عبادة وليس شهر عمل (العبادة التي قدمنا صورة منها!). أما تهذيب النفس من خلال الجوع فحدث عن هذا ولا حرج، حيث إن التجار يشرعون في الإعداد لمستلزمات رمضان قبل مجيئه بنحو شهرين، وتقدر بعض الجهات أن ما يستهلكه كثير من المسلمين في رمضان يصل إلى ثلاثة أمثال ما يستهلكونه في غير رمضان!! وقد صار رمضان عبئاً ثقيلاً على الحكومات التي توفر السلع المدعومة لمواطنيها!

وقد كان السلف يدعون الله تعالى ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، فإذا انصرم دعوا الله ستة أشهر أخرى أن يتقبل منهم أعمالهم في رمضان. أما اليوم فإن كل وسائل الإعلام في العالم الإسلامي تشعر الناس بأن رمضان ضيف ثقيل فكأنه شر لا بد منه، ومن ثم فإن كثيراً من البرامج ينصرف إلى الترفيه عن الناس بما يجوز وما لا يجوز، وانقلب الشهر المبارك إلى موسم للهو واللعب!

وما يحدث لكثير من المسلمين في هذا الشهر المبارك أمر مفهوم، حيث إن الأمة حين تمر بحالة من الركود الحضاري تكف مبادئها عن الفعل وتسيطر عليها الشكليات والعادات، فجيوشها لا تقا تل، ومبدعوها لا يعرفون والفضائل فيها شعارات، والعبادات عادات.. وتستمر في ذلك حتى تندثر باعتبارها أمة

متميزة أو يبعثها الله بعثاً جديداً يحيي ما اندرس من سابق عهدها، وما ذلك على الله بعزيز.

دراسات قرآنية نحو منهجية عملية في حفظ القرآن الكريم

فيصل البعداني

انتشرت الصحة الإسلامية المباركة في عصرنا، وأصبحت نتائجها ظاهرة لكل أحد، ولعل من بعض ثمارها المباركة عودة كثير من شباب الأمة إلى القرآن الكريم قراءة وحفظاً، ونظراً لسلوك كثير من أولئك مسلكاً غير منهجي أثناء مرحلة الحفظ، مما يؤدي إلى سوء الحفظ سواء أكان ذلك من حيث النطق أو الاستيعاب لكامل ما يحفظ، أو استقرار الحفظ وثباته في الذهن، بالإضافة إلى عدم مواصلة الكثير منهم للحفظ والتوقف بعد ابتداء المشوار، أو حتى عدم الابتداء من الأصل مع وجود رغبة صادقة، وحرص أكيد للتشرف بحفظ القرآن الكريم. ولقد بادرت في كتابة هذه السطور عليها أن تفيّد الراغبين في حفظ كتاب الله الكريم، وقد حاولت الاستفادة من أصحاب الخبرة في هذا المجال رجاء أن يكون الطرح أكثر فائدة وواقعية، وقد قمت بتقسيم الموضوع إلى ثلاثة أقسام كالتالي:

أولاً : ما ينبغي فعله لمن أراد حفظ القرآن الكريم قبل أن يحفظ.

ثانياً : خطوات عملية مقترحة لحفظ القرآن الكريم.

ثالثاً : ما يفعله الحافظ بعد أن يحفظ.

وإليك قارئني الكريم التفصيل والبيان :

ما ينبغي فعله لمن أراد حفظ القرآن الكريم قبل أن

يحفظ :

1- الإخلاص لله تعالى :

لا يخفى أن الإخلاص وإرادة وجه الله تعالى شرط لصحة العمل وقبوله إن كان عبادياً محضاً كالصلاة والصيام والطواف... الخ، كما أنه شرط للثواب ونيل الأجر في الأمور المباحة كالأكل والشرب وحسن المعاشرة للناس... الخ. وبما أن قراءة القرآن وحفظه من الأمور العبادية المحضة فإنها لا تقبل عند الله تعالى إلا بالإخلاص، وهي داخلة في مثل قوله تعالى ((فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)) (1)، وقوله تعالى في الحديث القدسي (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) (2).

2- استشعار عظمة القرآن الكريم ومعرفة منزلته :

ومن الأمور التي تحقق ذلك :

* تذكر أن القرآن كلام الله تعالى ((فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ)) (3) وعظمتها مأخوذة من عظمة الله، ولا أعظم من الله، وبالتالي فلا أعظم ولا أقدس من كلامه سبحانه.

* إدراك الأمر الذي نزل من أجله القرآن، وهو هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ((ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)) (4)، ((شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان)) (5).
* من عظمة القرآن عظمة الشهر الذي أنزل فيه القرآن (شهر رمضان)، فهو أفضل الشهور، وعظمة الليلة التي أنزل فيها القرآن (ليلة القدر)، فهي خير الليالي، وعظمة الرسول الذي أنزل عليه القرآن فهو إمام الأنبياء والمرسلين وسيد ولد آدم ولا فخر، وعظمة معلمه ومتعلمه حيث قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بيان أفضليتهما (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) (6)، وفي رواية (إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه) (7).
* وصف الله تعالى له بالعظمة في مثل قوله تعالى ((ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم)) (8)، ويكفي هذا في بيان مقدار عظمتها وجلاله.

3- إدراك فضل أهل القرآن وعظم ثوابهم :

وقد جاء بيان ذلك في كثير من النصوص ومنها :
* ما رواه عمر رضي الله عنه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين) (9).
* ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول «ألم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف») (10).
* عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونحن في الصفة فقال: أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين (11) في غير إثم ولا قطع لحم، فقلنا : يا رسول الله، نحب ذلك، قال : أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل) (12).
* عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه) (13).

* عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها) (14).

* عن أبي مسعود الأنصاري قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله) (1).

* عن عائشة رضي الله عنها عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : (مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران)(16).

* عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:(المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمر طعمها طيب ولا ریح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر أو خبيث وريحها مر)(17).

* **معرفة أن الشارع قد حث على قراءة القرآن والاستماع إليه في**

نصوص منها:

(أ) في القراءة :

قوله تعالى ((إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور))(18)، وقوله -صلى الله عليه وسلم- (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه)(19).

(ب) في الاستماع :

قوله تعالى ((وإذا قرء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون))(19). قال الليث بن سعد: (يقال ما الرحمة إلي أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن لقوله تعالى ((وإذا قرء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون))، ولعل من الله واجبة)(20).

5- إدراك من أراد الحفظ الهدف من قراءة القرآن وحفظه

ويمكن أن يحصل ذلك عن طريق استشعار الأمور التالية :

* ما يقع من تحصيل الأجر العظيمة الواردة في النصوص، ومنها ما سبق بيانه.

* قراءة لتنفيذ الأوامر وتطبيق التعاليم الواردة في الآيات.

* قراءة التصورات الصحيحة الصائبة حيث أن القرآن الكريم هو المصدر الوحيد لتصوراتنا لقوله تعالى ((ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء))(21).

6- التنبه إلى سهولة القرآن لمن أراد حفظه :

لقوله تعالى ((ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر))(22)، قال القرطبي - رحمه الله تعالى - عن هذه الآية «أي سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه فيعان عليه»(23).

7- ضرورة وجود العزيمة الصادقة :

وذلك عند الابتداء في الحفظ والاستمرار على ذلك، إذ بدونها يخور العبد ويتهاون ولا يتجاوز الأمر كونه مجرد أمنية وحلم يقظة، ويمكن أن يوجد

الإنسان هذه العزيمة الصادقة بمعرفته لعظمة القرآن ومكانة أهله، والفضل الجزيل لقارئه ومستمعه إذ أن النصوص الواردة في ذلك تحت المسلم وتدفعه بشدة إلى تكوين رغبة جادة في قرارة نفسه على الحفظ والمواصلة.

8- التقليل من المشاغل والاكتفاء بالحفظ وبذل الجهد في ذلك :

قال الله تعالى ((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلَنَا)) (24)، ومعروف أنه من سار على الدرب وصل، ومن جد وجد، ومن زرع حصد، ومما يعرفه الناس عن النملة أنها تحاول الرقي إلى مكان مرتفع وقد تفشل في الوصول إلى غايتها وتسقط، ولكنها لا تكل أو تمل وتبذل جهداً مضاعفاً إلى أن يتكلم جهدها بالنجاح، وهذا هو ما ينبغي فعله لمن أراد حفظ القرآن.

9- تفرغ وقت يومي للحفظ :

سواء أكان ذلك بعد الفجر أو بعد العصر أو بعد المغرب... إلخ، كل حسب ما يناسبه. وكون مكان الحفظ في المسجد أولى لقوله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي سبق (... أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد) (12)، ومعلوم أن الجو في المسجد مهياً لهذا الأمر، وغيره ليس مثله. وكونه مع مجموعة أفضل لحديث أبي هريرة قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده) (25)، ولأن الجماعة عنصر مساعد ومشجع والإنسان قد يصاب بكسل وفتور فتدفعه الجماعة إلى المواصلة، ولذا قيل (الصاحب صاحب).

10- اختيار شيخ مجيد للتلقي عليه :

ولذا قرر أهل العلم أنه لا يصح التعويل في قراءة القرآن الكريم على المصاحف وحدها بل لابد من التلقي على حافظ متقن متلق عن شيخ، ولذا قال سليمان بن موسى «كان يقال : لا تأخذوا القرآن من الصحفيين» (26)، وقال سعيد التنوخي «كان يقال : لا تحملوا العلم عن صحفي ولا تأخذوا القرآن عن مصحفي» (27)، ولكون قراءة القرآن مبناه على التلقي والسماع جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول : (والله لقد أخذت من في رسول الله بضعاً وسبعين سورة) (28)، وذكر ابن حجر في الفتح بيان كيفية أخذ عبد الله لبقيّة القرآن فقال : (زاد عاصم عن بدر عن عبد الله : «وأخذت بقيّة القرآن عن أصحابه») (29)، ولأهمية التلقي في تعلم القرآن نجد أن بعض الصحابة كانوا يوجهون طلابهم إلى ضرورة التلقي عن المتلقي، فعن معد يكره قال : «أتينا عبد الله فسألناه أن يقرأ علينا : طسم المائتين فقال : ما هي معي ولكن عليكم من أخذها من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خباب بن الأرت قال : فأتينا خباب بن الأرت فقرأها علينا» (30)، بل إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

كان يعارض جبريل بالقرآن كل عام مرة وعام وفاته مرتين (31)، وكان يأمر أصحابه بالتلقي فيقول (اقرأوا القرآن من أربعة نفر : من ابن أم عبد ومن أبي بن كعب ومن سالم مولى أبي حذيفة ومن معاذ بن جبل)(32).

11- اختيار مصحف معين في الحفظ حتى ترسخ مواضع الآيات في الذهن ولا يكون هناك تشتت..

12- الحرص على الابتداء في الحفظ من آخر المصحف وبخاصة صغير السن أو ضعيف العزيمة، حتى يشعر أنه قد أنجز شيئاً في فترة وجيزة، حيث أن السور أكثر عدداً وأقل صعوبة ولديه خلفية عنها عن طريق مقررات القرآن في المدارس النظامية.

13- دعاء الله تعالى بالتوفيق والتمكين من الحفظ واللجوء إليه في ذلك لأن حفظ القرآن الكريم منة من الله وهبة.

خطوات عملية مقترحة لحفظ القرآن الكريم :

1- تحديد مقدار معين لحفظه في جلسة واحدة في حدود طاقة القارئ وينبغي له أن لا يزيد كمية المقدار كثيراً في أيام حماسه وبخاصة في بداية الحفظ، حتى لا يمل أو يصاب بالإحباط حين لا يستطيع المحافظة على ذلك المقدار، وبالتالي يؤدي ذلك إلى تركه الحفظ بالكلية، بل عليه أن يربي نفسه على المرونة في تحديد المقدار جاعلاً نصب عينيه أن أهم قضية هي الاستمرار اليومي في الحفظ لا غير.

2- قراءة المقدار المعين على الشيخ المختار من المصحف قبل مباشرة الحفظ وتلزم هذه الخطوة إذا كان القارئ لا يجيد قراءة الرسم العثماني.

3- قراءة القارئ المقدار المحدد للحفظ من المصحف بينه وبين نفسه لإصلاح النطق في الكلمات التي لم يجد قراءتها.

4- أن يحفظ القارئ المقطع آية آية، ويقوم بربط الآية الثانية بالتي تليها وإذا كانت الآية الواحدة تقل عن سطر فإيتين آيتين بحيث لا يتم الزيادة على سطرين أو ثلاثة في المرة الواحدة.

5- أن يرفع الصوت بتوسط أثناء الحفظ لأن خفض الصوت يكسل القارئ ورفعه جداً يتعبه ويؤدي من حوله، هذا في الأصل أما لو كان خاشعاً، خالي الذهن وخفض صوته فلا بأس لكن لابد من القراءة باللسان، أما إمرار العين بدون تحريك اللسان فلا.

6- نطق الآيات أثناء الحفظ بترتيل وتمهل، والحرص على عدم إغفال أحكام التجويد أثناء القراءة امثالاً لقوله تعالى ((ورتل القرآن ترتيلاً)) (33) واهتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم- في تركه تحريك لسانه استعجالاً به بعد نزول قوله تعالى ((لا تحرك به لسانك لتعجل به)) (34)، ولأن هذا هو هدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في تعليمه القرآن لأصحابه، قال الله تعالى ((وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث)) (3). ولقد سئل أنس بن مالك : كيف كانت قراءة النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال : «كانت مدًّا ثم قرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد بسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم»)

36)، وهذا الأمر كان ديدن كبار الصحابة، ولذا قال ابن عباس راداً على أبي حجر حين قال له: إني سريع القراءة وإني أقرأ القرآن في ثلاث: «لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدبرها وأرتلها أحب إليّ من أن أقرأ كما تقول»، وفي رواية «أحب إليّ من أن أقرأ القرآن أجمع هذرمة» (37)، ولا شك أن الترتيل أثناء الحفظ يعين على تدبر الآيات والتفكير في معانيها مما يعني جمع القارئ بين حفظ الآيات والفهم مبدئياً لمعناها، وهو مما يعمق الحفظ ويقويه أيما تقوية.

7- أن يُسمّع على نفسه المقدار المعين حفظه بعد إنهائه له.

8- أن يقوم بقراءة المقدار المحفوظ من المصحف بعد تسميعه على نفسه للتأكد من سلامة الحفظ وعدم تجاوزه لبعض الآيات أو الكلمات أو الخطأ في الشكل.

9- أن يقوم بتسميع ما حفظ على شيخه المختار ولا بد من ذلك.

10- يفضل ربط المقدار المحفوظ من سورة ما قسمت إلى مقاطع بما حفظ من أول السورة يومياً ل يتم الربط بين المقاطع المحفوظة، وهذا أمر لا دخل له في برنامج الحافظ للمراجعة.

ما يفعله الحافظ بعد أن يحفظ :

1- الخوف من الوقوع في الرياء :

والرياء في موضوعنا : طلب الحافظ للجاه والمنزلة في نفوس الخلق بإظهاره لهم إكماله لحفظ القرآن، أو جودة حفظه وحسن أدائه، وهو ضرب من الإشراف، ولذا قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله. قال : الرياء يقول الله عز وجل - يوم القيامة إذا جزي العباد بأعمالهم - : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء)(38)،

والمرائي بالقرآن معرض نفسه للعقوبة الشديدة الواردة في حديث أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه... ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار)(39). والواجب على مريد النجاة الحرص على الإخلاص واستمرار سلامة القصد والنية.

2- الحذر من الغفلة عن العمل بالقرآن والتأدب بأدابه

والتخلق بأخلاقه :

لأن القرآن إنما أنزل ليعمل به، ويتخذ نبراساً ومنهاج حياة، قال ابن مسعود رضي الله عنه «أنزل القرآن ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملاً، إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً، وقد أسقط العمل به» (40)، وقال بعض أهل العلم : «إن العبد ليتلو القرآن فيلعب نفسه وهو لا يعلم، يقول : ألا لعنة الله على الظالمين، وهو ظالم نفسه، ألا لعنة الله على

الكاذبين، وهو منهم» (40)، وقال أنس رضي الله عنه : «رب تال للقرآن والقرآن يلعنه» (4).

3- الخشية من العجب بالنفس والتعالي على الخلق :

فالعجب استعظام النفس لما بذلت من أسباب لتحصيل حفظ القرآن الكريم والله تعالى هو الهادي إلى ذلك والمعين على تسهيله وتحققه، ولولا إحسانه وفضله لما تمكن العبد من حفظ القرآن أو بعضه، والواجب بدلاً من ذلك شكر الله تعالى على نعمته بمعرفتها حق المعرفة وإسناد الفضل إليه سبحانه وحده لا شريك له في تحقيقها، والتعالي على الخلق هو التكبر عليهم واعتقاد العبد بلوغه مرتبة في الكمال لم يبلغها من حوله فيتجه إلى احتقارهم وتجهيلهم، ومن هذه حاله ينسى ما ورد من النصوص في التحذير من مثل ذلك، ومنها قوله تعالى في الحديث القدسي : (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار)(41)، وقوله -صلى الله عليه وسلم- (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)(42)..

4- تذكّر النصوص الآمرة بتعهد القرآن والمحذرة من نسيانه :

وردت نصوص كثيرة تحث على تعاهد القرآن وتحذر من هجره ونسيانه ومنها :
* عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : (إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقهما ذهبت)(43).

* وعن عبد الله قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت، بل نسي واستذكر القرآن فإنه أشد تفصيلاً من صدور الرجال من النعم)(45).

* وعن أبي موسى عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : (تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيلاً من الإبل في عقلها)(46).

وبسبب هذه النصوص ومثيلاتها تحدث أهل العلم عن الزمن الذي لا يشرع للعبد تجاوزه سواء أكان من حيث القلة أو الكثرة في قراءة القرآن الكريم فأقل زمن يستحب قراءة القرآن فيه على المختار ثلاثة أيام لقوله -صلى الله عليه وسلم- فيما رواه عنه عبد الله بن عمرو: (لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث)(47).

ولذا كان معاذ بن جبل يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث (48) وكان ابن مسعود يقول: (اقروا القرآن في سبع ولا تقرؤوه في أقل من ثلاث)(49).

والحكمة - والله أعلم - في عدم مشروعية قراءته في أقل من ثلاث أن لا تؤدي سرعة القراءة إلى قلة الفهم والتدبر أو الملل والتضجر أو الهزيمة وعدم إتقان النطق، وما ثبت عن السلف من قراءته في أقل من ذلك فهو محمول إما على أنه لم يبلغهم في ذلك حديث من مثل الحديث السابق، أو أنهم كانوا يفهمون ويتفكرون فيما يقرءونه مع هذه السرعة(50)، أو أن ذلك

كان في فترة حماس وكثرة نشاط أو وقت فاضل كرمضان ونحوه فأرادوا استغلاله لا أن يكون ذلك عادة لهم في سائر العمر. وأما أوسع زمن جاءت النصوص مبينة مشروعية قراءة القرآن فيه فأربعون يوماً كما ورد في حديث عبد الله بن عمرو أنه سأل النبي-صلى الله عليه وسلم:- في كم يقرأ القرآن؟ قال:(في أربعين)(51)، ولذا قال إسحاق بن راهويه : (ولا نحب للرجل أن يأتي عليه أكثر من أربعين ولم يقرأ القرآن لهذا الحديث)(52)، وقال أيضاً : (يكره للرجل أن يمر عليه أربعون يوماً لا يقرأ فيها القرآن)(53).

5- نسيان القرآن سببه الذنوب والمعاصي :

جاءت الكثير من النصوص التي تجعل ذنوب العبد سبباً لما يصيبه من مصائب وبلايا والتي من أعظمها ولا شك نسيان القرآن الكريم، ومما جاء في ذلك قوله-صلى الله عليه وسلم:- (لا يصيب عبداً نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر)(54)، وقد كان هذا الأمر جلياً في أذهان السلف، ولذا قال الضحاك مزاحم : (ما من أحد تعلم القرآن فنسيه إلا بذنب يحدثه لأن الله تعالى يقول : ((وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم)) (55)، وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب (56)، بل إنهم - رحمهم الله تعالى- كانوا يقفون موقفاً صارماً ممن هذه حاله كما جاء من طريق ابن سيرين بإسناد صحيح في الذي ينسى القرآن كيف أنهم كانوا يكرهونه ويقولون فيه قولاً شديداً(57)، وقد ذكر القرطبي - رحمه الله - سبب تلك الكراهية وذلك الموقف الشديد فقال : (من حفظ القرآن أو بعضه فقد علت رتبته بالنسبة إلى من لم يحفظه، فإذا أخل بهذه المرتبة الدينية حتى تزحزح عنها ناسب أن يعاقب على ذلك، فإن ترك معاودة القرآن يفضي إلى الرجوع إلى الجهل والرجوع إلي الجهل بعد العلم شديد)(58).

بل إن بعضهم بعده ذنباً كما روى أبو العالية عن أنس موقوفاً (كنا نعد من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل القرآن ثم ينام عنه حتى ينساه)(59). قال ابن كثير - رحمه الله - : "وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى في قوله تعالى ((ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)) (60)، وهذا الذي قاله وإن لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه، فإن الإعراض عن تلاوة القرآن، وتعرضه للنسيان، وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد نعوذ بالله منه"(61).

6- كيف تكون المراجعة؟

لا شك أن الطريقة الأسلم للمراجعة هي تخصيص وقت كاف غير وقت الحفظ يقرأ فيه المرء ما يفتح الله تعالى عليه فيه، ولكن نظراً لعدم قدرة كثير من الناس على تخصيص وقت معين لذلك فيمكن استخدام الطرق التالية :

- (أ) - القراءة في السنن الرواتب غير راتبة الفجر تكون خمسة أثمان، في كل ركعتين ثمن.
 - في ركعتي ما قبل العصر تكون ثمناً واحداً.
 - في الصلوات المفروضة وقيام الليل تكون ثمنين.
 وعلى هذا فالحد الأدنى في اليوم الواحد يكون جزءاً كاملاً من القرآن الكريم.
- (ب) القراءة في الصلاة النافلة من غير الرواتب، وفي السيارة، وبين الأذان والإقامة وأثناء الذهاب للدراسة أو العمل والعودة من ذلك... إلخ من حالات الإنسان المناسبة.
- (ج) الجلوس بعد الفجر ولو قليلاً للقراءة بحيث يلزم الإنسان نفسه أن يقرأ في ذلك الوقت شيئاً من القرآن الكريم ولو ثمناً واحداً.
- (د) يمكن لأصحاب الهمم العالية استخدام طريقة (فمي مشوق) وهي طريقة كان يستخدمها بعض مشايخ الإقراء في أرض الكنانة بحيث أن الحافظ يستطيع مراجعة القرآن كاملاً في أسبوع واحد وبيانها كالتالي :
- الفاء من (فمي مشوق) للفتحة والميم للمائدة والياء ليونس والميم لمريم والشين للشعراء والواو للصفات والقاف لسورة ق.
 - فيكون المقدار في اليوم الأول من أول (الفتحة) إلى أول (المائدة).
 - وفي اليوم الثاني من أول (المائدة) إلى أول (يونس).
 - وفي اليوم الثالث من أول (يونس) إلى أول (مريم).
 - وفي اليوم الرابع من أول (مريم) إلى أول (الشعراء).
 - وفي اليوم الخامس من أول (الشعراء) إلى أول (الصفات).
 - وفي اليوم السادس من أول (الصفات) إلى أول (ق).
 - وفي اليوم السابع من أول (ق) إلى آخر المصحف الشريف.
- (هـ) على من حفظ شيئاً من القرآن الكريم دون عشرة أجزاء أن لا يمر عليه خمسة عشر يوماً دون إتمام مراجعته.
 والله نسأل للجميع التوفيق والسداد.

الهوامش :

- (1) سورة الكهف: 110.
- (2) مسلم 2289/4 ح 2985.
- (3) سورة التوبة: 6.
- (4) سورة البقرة: 2.
- (5) سورة البقرة: 185.
- (6) البخاري مع الفتح 9 / 74 ح 5527.
- (7) البخاري مع الفتح 9 / 74 ح 5528.
- (8) سورة الحجر: 78.
- (9) مسلم 1 / 559 ح 817.
- (10) الترمذي 5 / 75 ح 2915 وصححه الألباني في صحيح الجامع. 5/345 ح 6345.

- (11) كوماوين : الكوماء من الابل عظيمة السنام طويلته، قاله ابن منظور في اللسان 12 / 529.
- (12) مسلم 1 / 552 ح 803.
- (13) مسلم 1 / 553 ح 854.
- (14) أبو داود 2 / 53 ح 1464، وقال الألباني في صحيح أبي داود 1 / 275 ح 1350 "حسن صحيح".
- (15) مسلم 1 / 465 ح 673.
- (16) البخاري مع الفتح 8 / 691 ح 4 937.
- (17) البخاري مع الفتح 9 / 100 ح 5059.
- (18) سورة فاطر: 29.
- (19) سورة الأعراف: 204.
- (20) التذكار في أفضل الأذكار، 91.
- (21) سورة النحل: 89، قال ابن سعدي في تفسيره حولها 4 / 230 (وقوله : ((ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء)) في أصول الدين وفروعه وفي أحكام الدارين وكل ما يحتاج إليه العباد فهو مبين أتم تبيين بالفاظ واضحة ومعان جليلة). ولا يخفى أن السنة جاء الأمر بالأخذ بها في القرآن في نحو قوله تعالى في سورة الحشر (7) ((وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا))، فالعمل بها عمل بالقرآن.
- (22) سورة القمر: 17.
- (23) الجامع لأحكام القرآن 17 / 134.
- (24) سورة العنكبوت: 69.
- (25) مسلم 4 / 2547 ح 2699.
- (26) تصحيفات المحدثين للعسكري 1 / 6.
- (27) المصدر السابق 1 / 7.
- البخاري مع الفتح 9 / 46 ح 5000.
- فتح الباري 9 / 48.
- (30) المسند بتحقيق شاکر 6 / 34، وقال الشيخ أحمد شاکر "إسناده صحيح".
- (31) انظر حديث أبي هريرة في البخاري مع الفتح 9 / 43 ح 4998.
- (32) مسلم 4 / 1913 ح 2464.
- (33) سورة المزمّل: 4.
- (34) سورة القيامة: 16، وانظر في الشاهد منها هنا تفسير ابن كثير.
- (35) سورة الإسراء: 106.
- (36) البخاري مع الفتح 9 / 91 ح 5046.
- (37) فضائل القرآن لابن كثير (75).
- (38) أحمد 5 / 428، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب 1 / 17.
- (39) مسلم 3 / 1513 ح 1905.

- (40) تهذيب موعظة المؤمنين 1 / 75.
- (41) أبو داود 4 / 350 ح 4090، وصحه الألباني في صحيح الجامع 4 / 114 ح 4187.
- (42) مسلم 1 / 93 ح 91.
- (43) البخاري مع الفتح 9 / 79 ح 5031.
- (44) قال ابن حجر في الفتح 9 / 81 تفصيلاً : أي تفلتاً وتخلصاً.
- (45) البخاري مع الفتح 9 / 79 ح 5532.
- (46) البخاري مع الفتح 9 / 79 ح 5033.
- (47) أبو داود 2 / 116 ح 1394، وصحه الألباني في صحيح الجامع 6 / 242 ح 7620.
- (48) ذكره ابن كثير في فضائل القرآن (80) وقال صحيح.
- (49) ذكره ابن حجر في الفتح 9 / 97 وقال هو عند سعيد ابن منصور بإسناد صحيح.
- (50) انظر فضائل القرآن لابن كثير 82.
- (51) الترمذي 5 / 197 ح 2947 وحسنه الألباني في صحيح الجامع 1 / 37 ح 1165.
- (52) انظر جامع الترمذي 5 / 197.
- (53) فضائل القرآن لابن كثير 70.
- (54) الترمذي 5 / 377 ح 3252، وحسنه الألباني في صحيح الجامع 4 / 240 ح 7609.
- (55) سورة الشورى: 30.
- (56) فضائل القرآن (70).
- (57) فتح الباري 9 / 86.
- (58) المصدر السابق 9 / 86.
- (59) المصدر السابق 9 / 86، وقال ابن حجر " وإسناده جيد".
- (60) سورة طه: 124- 126.
- (61) فضائل القرآن لابن كثير (69).
- * التقسيم المشهور في المصحف العثماني أن يقسم المصحف إلى ثلاثين جزءاً، ويقسم الجزء إلى حزبين والحزب إلى أربعة أرباع، فيكون الجزء ثمانية أرباع .

-البيان -

مقال

حقوق الناس بين الأخذ
والعطاء

عادل رشاد غنيم

حقوقك لدى الآخرين قضية مهمة عُني بها الإسلام، وسن الأحكام لتقريرها وحمايتها، وبطبيعة الحال فإن حقوق الآخرين عليك هي كذلك موضع عناية الإسلام، فحقوقك هي واجبات الآخرين تجاهك، وحقوق الآخرين هي واجباتك تجاههم.

ومن منطلق العدل طالبنا الإسلام باحترام حقوق الناس بالقوة نفسها التي طالب فيها الناس باحترام حقوقنا، لكننا نجد أناساً مرضى بالأنانية يطالبون بحقوقهم، وفي الوقت نفسه يرفضون أداء واجباتهم!.

ولقد وصف القرآن الكريم هذا النوع من الناس بقوله: ((وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين)) (1)، أي أنهم لا يذعنون للحق إلا إذا كان لهم، أما إذا كان الحق عليهم فالإعراض هو شأنهم.

وشرٌّ من هؤلاء من أخذ حق غيره دون وجه مشروع، يقول رسول الله: (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة، فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ فقال: وإن كان قضيماً من أراك) (2).

والمجتمع الذي تعيشه تربطك بأفراده علاقات عدة، تنشئ بينك وبينهم منظومة من الحقوق المتبادلة، وعليك أن تتجح في هذه المعادلة الصعبة فتعطي كل ذي حق حقه.. وهذا ما أكدّه حديث سلمان رضي الله عنه: (إن لربك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه) (3).

فالقربة علاقة اجتماعية يترتب عليها حقوق أسرية.. ((وآت ذا القربى حقه..)) (4)، والجوار ينشأ عنه حقوق، كما في حديث عائشة رضي الله عنها: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (5).

والإسلام علاقة مكيّنة تبني الأخوة التي توجب على المسلمين جملة من الحقوق: ففي صحيح مسلم (حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه) (6).

وهناك علاقات تنشأ نتيجة العقود، وقد أحاطها الإسلام برعاية كبرى لأنها من أهم مصادر الالتزام، فالقرض عقد يفرض على المدين حق السداد للدائن. عن أبي سعيد الخدري قال: جاء أعرابي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يتقاضاه ديناً كان عليه، فاشتد عليه حتى قال له: أخرج عليك إلا قضيتني، فانتهره أصحابه وقالوا: ويحك! ترى من تكلم؟ قال: إني أطلب حقي، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «هلا مع صاحب الحق كئتم؟» ثم أرسل إلى خولة بنت قيس فقال لها: «إن كان عندك تمر فأقرضينا حتى يأتينا تمرنا فنقضني لك» فقالت: نعم بأبي أنت يا رسول الله، قال: فأقرضته فقضى الأعرابي وأطعمه، فقال الأعرابي: أوفيت أوفى الله لك، فقال -صلى الله

عليه وسلم:- أولئك خيار الناس، إنه لا قدست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متعتع «(7).

والتوظيف عقد يوجب على الموظف أداء عمله وفق شروط العقد ويجب على صاحب العمل دفع الأجر وسائر المستحقات للموظف (المسلمون عند شروطهم) «(8).

لقد أمرنا الله تعالى أمراً صريحاً بالوفاء بالعقود والتزاماتها: ((يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود...)) (9).

ومن غير المقبول أن يمتنع صاحب العمل عن إعطاء عماله أجورهم مستخفاً بها تماماً، كما هو غير مقبول من العمال التقصير في المهام المسندة إليهم.. فهل أنت أخي القارئ ممن يعطي الحق من نفسه كما يريد من غيره؟! غيرة؟!!

إن الإسلام لا ينتظر حتى يثور النزاع بين الخصوم ليصل إلى ساحة القضاء لتفصل المحاكم في دعاوى الحقوق.. إنه يؤسس محكمة داخل كل نفس إنها محكمة «تقوى الله» تصدر حكمها بالحق ولو على الذات.

ولنسمع قول رسولنا -صلى الله عليه وسلم- وهو يخاطب النفس المؤمنة:

(لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) (10). ومعنى ذلك أن يبادر الإنسان برد الحقوق إلى أهلها في حياته

قبل أن يقف موقفاً لا يملك فيه شيئاً، لهذا نصحنا رسول الله : (من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار

ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له

حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه) (11)، وهذا هو الإفلاس الحقيقي الذي يجب أن نحذر الوقوع فيه..

لقد أعطى الرسول -صلى الله عليه وسلم- للإفلاس معنى أعم مما تعارف عليه الناس ودعني أذكرك بهذا الحوار الذي دار بين النبي -صلى الله عليه

وسلم- وصحبه: (أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة،

ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب

هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن

يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار) «(12).

وعلى الرغم من وضوح هذه الحقائق إلا أن بعض الناس يبيع دينه بأبخس ثمن، ويأكل حقوق الناس بالباطل وهو ذاهل عن المصير المظلم الذي

ينتظره لذلك أقر الإسلام مبدأ الحماية للحقوق عن طريق القضاء برفع

دعوى من قبل الشخص صاحب الحق..

وبالطبع لابد للدعوى من دليل أو بينة، فكما قال النبي: (لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم، ولكن اليمين على المدعى عليه) «(13).

وفي عالم القضاء وصخب الخصوم في المحاكم قد ينجح بعض الخبثاء من خلال إبراز بعض الحجج الملفقة، أو اليمين الفاجرة، أو شهادة الزور ويحصل على حكم قضائي لصاحبه، ولا يعني هذا أن ما أخذه أصبح حقاً له بل هو سحت، اقرأ بيان ذلك عن أم سلمة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، أقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه، وإنما أقطع له قطعة من النار)(14).

أما اليمين الفاجرة فحسب صاحبها العذاب الأكبر كما قال رسول الله: (لا يحلف أحد عند منبري هذا على يمين آثمة، ولو على سواك أخضر إلا تبوأ مقعده من النار) «(15).

ونظراً لخطورة الشهادة على سير القضاء اعتبرت شهادة الزور من أكبر الجرائم، (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ شهادة الزور) «(16). وينبغي أن نتنبه لمسألة الشهادة إذا دعينا إليها، فلا نشهد إلا بعلم ونلبي أداء الشهادة حينذاك: ((ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه أثم قلبه)) (17) وهكذا نساعد في حماية حقوقنا من العدوان عليها من قبل كل مغتصب غشوم. والله المستعان.

الهوامش:

- (1) سورة النور: 49.
- (2) رواه مسلم، ك الإيمان، ج 2، ص 57.
- (3) رواه البخاري، ج 4، رقم 1968، ج 10، الأدب، رقم 6139.
- (4) سورة الإسراء: 26.
- (5) رواه البخاري، ج 10، رقم 6014، ومسلم 16، ص 176.
- (6) رواه مسلم، ك السلام، ج 14، ص 143.
- (7) رواه ابن ماجة في ك الأحكام، رقم 2426، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة، ج 2، 55، برقم 1969.
- (8) رواه البخاري معلقاً، انظر الفتح، 4، ك الإجابة، ص 527، ورواه أبو داود في الأقضية، والحاكم في المستدرک، ج 2، 50.
- (9) سورة المائدة: 1.
- (10) رواه مسلم، ج 16، ص 136.
- (11) رواه البخاري في المظالم، ج 5، رقم 2449، وفي الرقاق، ج 11، رقم 6534.
- (12) رواه مسلم في البر والصلة، ج 16، ص 135، وأحمد في المسند، ج 2، 303.
- (13) صحيح مسلم، كتاب الأقضية، ج 2، ص 59، ط دار الكتب العلمية.
- (14) البخاري في المظالم، ج 5، رقم 3458، والشهادات، رقم 2670، ومسلم في الأقضية، ج 12، ص 5.

(15) رواه ابن ماجة في الأحكام، وأبو داود في الإيمان، ومالك في الموطأ، ك الأفضية.

(16) رواه البخاري، ج10، رقم 05976، ومسلم في الإيمان، ج2، ص 82.

(17) سورة البقرة: 283.

حوار

لقاء مع فضيلة الدكتور: ناصر بن عبد الكريم العقل

تمهيد:

فضيلة الدكتور/ ناصر بن عبد الكريم العقل عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وهو باحث له اهتماماته العلمية والدعوية وله مساهماته الفكرية بعضها منشور وبعضها لم يرَ النور بعد.

تخرّج من كلية الشريعة بالرياض، وقد قدم بحثه (التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية) وكانت رسالته في الماجستير عن منهج (المدرسة العقلية في العقيدة) والتي لم تطبع حتى الآن مع أهميتها في بابها، أما رسالته في الدكتوراه فهي دراسة وتحقيق لكتاب (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) وهو مطبوع، ومن دراساته المطبوعة عدد من الرسائل في (سلسلة دراسات في منهج أهل السنة) وله دراسة عن (الجاهلية) ودراسة عن الفرق والمذاهب بالاشتراك، وتمتاز دراساته بالعلم والتحقيق.. هذا ما نحسبه، والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً.. وقد التقت معه (البيان) «وجرى معه الحوار التالي.

- البيان -

* يتقاذف الدعاة الآن تيارات مختلفة فما هو الأولى للبدء في التغيير في واقع المسلمين اليوم، فهناك من يرى أن الأولوية في الدعوة للوعي السياسي، وآخرون يرون البدء في إنكار المنكرات التي عمت، وطائفة ترى في تحقيق التراث أهمية قصوى، وغيرهم يرون الجهاد، وطائفة ترى البدء بالتربية الفردية، فما هو الترتيب الطبيعي لسلم الأولويات في الدعوة إلى الله وفق تصوركم؟

- الأولى أن يبدأ العلماء والدعاة إلى الله تعالى في أمر الدعوة والإصلاح بما بدأ الله به وما بدأ به رسله، من تحقيق التوحيد والعبودية لله تعالى والتحذير من الشرك والبدع والمحدثات في الدين التي تنافي التوحيد أو تخل به، ثم يثني كل داعية بالأهم فما دونه بحسب حاجة الأمة ومقتضيات الأحوال وإمكانات الدعاة، وهذه قاعدة شرعية عامة تقوم على النصوص ونهج السلف الصالح في الدعوة إلى الله وعلى مقتضى الحكمة والبصيرة التي هي ركائز

الدعوة وهذا هو النهج الذي يجب أن تقوم عليه كل دعوة من حيث المبدأ وبعد ذلك لا مانع أن تتوزع جهود الأمة بجماعاتها وأفرادها بين متطلبات الأمة مادام هذا الأصل مستصحب ومعقود عليه العمل والغاية والولاء والبراء فتقوم طائفة بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأخرى بالجهاد، وثالثة بالعمل المؤسسي، ورابعة بالتربية، وخامسة بالسعي للنهضة بالأمة علمياً واقتصادياً... الخ، على أن يدور الجميع حول المحور الأساسي وهو الاجتماع على التوحيد والسنة والجماعة وهدى السلف الصالح اعتقاداً وعلماً وعملاً والالتفاف حول العلماء أهل الحل والعقد.. أما تنازع بعض الدعاة والجماعات حول الأولويات فأكثره من التحريش والخصومات التي لا مبرر لها؛ لأن كل منهم في مسلكه على ثغر، ومن لديه قصور أو تقصير أو غلو يجب أن يسدد وينصح وبعان على نفسه.

*** الصحوة الإسلامية أصبحت ملء السمع والبصر، ورغم ذلك يكتنفها كثير من الأخطار والمعوقات، فما هي أبرز معوقات الدعوة الإسلامية حالياً؟**
إن أخطر المعوقات للدعوة وأبرزها في نظري ما يلي:

* النزاعات والخصومات بين الدعاة والجماعات الإسلامية (التهارش والتآكل) لاسيما وأن أكثر مواطن النزاع والخصومات في الاجتهاديات أو فيما يعذر به المخطئ.

* ضعف الفقه في الدين، ولا أقصد فقه الأحكام إنما فقه الأصول والمناهج والقواعد والمصالح والمواقف، لاسيما أن أكثر القائمين على الدعوة في العالم اليوم من طائفة المثقفين والمفكرين الذين لم يتضلخوا من العلم الشرعي أو تربوا على مفاهيم لم تؤصل شرعاً.

* المكر الكبار من خصوم الدعوة المتمثل في الصد عن دين الله تعالى والإعراض عن شرعه، والفساد في الأرض، وإيذاء عباد الله ومقاومة الصحوة المباركة من قبل شرادم العلمانية المهيمنة في أكثر العالم الإسلامي.
* التحدي العالمي من قبل المشركين والكافرين والمنافقين، وما يحمله من وسائل وإمكانات وتخطيط.

وكل ذلك من باب الأذى، ومما تستلزمه الدعوة إلى الله، وابتلي الله به المؤمنين، ثم تكون لهم العاقبة ((لن يضرركم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون)) (1).

*** الجاهلية مصطلح قديم أطلق على الفترة ما قبل الإسلام، والدعاة المعاصرون يتنازعون في استخدام هذا المصطلح لوصف واقع المسلمين اليوم الذي يحكم بغير الشريعة، فما شرعية استخدام هذا المصطلح الآن؟**
استخدام مصطلح الجاهلية له مفهومات كثيرة فهو بحسب ما أطلق عليه: وهو من العبارات الواردة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، فهو يطلق على الجاهلية المشركية القديمة من حيث العموم.. ويطلق على بعض خصالها وأيامها وأسواقها وأحوالها، وعلى من وقع في شيء من ذلك: كالتبرج والنياحة والدعاوى القومية والفخر بالأنساب، وهذه الخصال وأمثالها جاهلية

تطلق متى حدثت، ويقال لمن تلبس بها «فيك جاهلية» كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- للصحابي الذي غير أخاه: «إنك أمرؤ فيك جاهلية-» حديث صحيح-، وقال تعالى: ((وَلَا تَبْرَجَنَّ تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)) أما إطلاق الجاهلية في زماننا على العالم الإسلامي أو مجتمعاته على وجه العموم فلا يصح، لأن الأمة لا تزال على الإسلام بمسماه العام، ومنها الصالح والطالح، ومنها الطائفة المنصورة التي لا يحصرها مكان ولا زمان، وإنما تطلق الجاهلية على الأحوال والأشخاص حينما تتحقق من المعارضة الصريحة للإسلام فيها، فيقال: نظام جاهلي، ودستور جاهلي، وعيد جاهلي، وشعار جاهلي، ودعوى جاهلية، وخلق جاهلي أو خصلة جاهلية ونحو ذلك.

* يضغط الواقع بقوة على الدعاة؛ فيدعو بعضهم إلى العزلة الكاملة عن المجتمعات، بينما يميل آخرون إلى العزلة الشعورية (النفسية) ويرى غيرهم ضرورة الاندماج الكامل في المجتمع جسدياً وشعورياً كي يستطيعوا التغيير، فما هو الوضع الطبيعي للداعية حيال هذه المجتمعات الإسلامية المنحرفة عن شرع الله؟

الوضع الشرعي والطبيعي في مثل ظروفنا الراهنة: أن المسلم ينبغي أن يخالط الناس، فيكثر سواد المؤمنين، ويرشد العصاة والمخالفين ويناصح الولاة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويصلح بين المختلفين، ويقيم الحجة على المعاندين والمنحرفين، بفعله أو بقوله أو بسلوكه، ويسد حاجة المسلمين فيما يستطيع، وكل ذلك في حدود الاستطاعة، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها؛ لأنه ورد في الحديث الصحيح أن المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط ولا يصبر، وأن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف وفي كل خير، وأن اليد العليا خير من اليد السفلى.. أما العزلة فغير واردة والعزلة التي جاءت في النصوص إنما تكون عند الفتن التي يخفى فيها الأمر على المسلم، فيعتزل الفتنة وملابساتها، لكن لا يعتزل الجماعة ولا يقطع نفعه عن الأمة.

* للبيئة أثر ملموس على الناس، والدعاة جزء من مجتمعاتهم، وذلك في الطباع والخصال الفردية وطرائق التفكير والسلوك الشخصي.. إلى غير ذلك؛ فهل يمكن تشخيص أثر البيئة على الدعاة في مختلف بلدانهم وأثر ذلك على الدعوة المحلية؟

إذا قل الفقه في الدين، وضعف العلم الشرعي؛ تحكمت في الناس الأهواء والمؤثرات ومنها البيئة بعاداتها وتقاليدها وظروفها، وللبيئة أثران: أثر طبيعي قد يعتبر شرعاً؛ كالعادات والتقاليد التي لا تتعارض مع الشرع ويقع في مصادمتها مفاسد عظمى، والأثر الآخر كالأحوال الجغرافية والمناخية والاجتماعية والقومية والقبلية التي ليس في اعتبارها مصادمة للنصوص، إنما قد تجلب مصالح للإسلام وللأمة، فهذا الوضع البيئي يكون له أثره شرعاً كما فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- تجاه القبائل وزعمائها من تأليف قلوبهم واعتبار انتماءاتهم القبلية في العقود والألوية ونحو ذلك وكما

فعل الصحابة والتابعون وأئمة الدين في تنظيم الأقاليم وفي السياسة الشرعية.

* **مرت الدعوة الإسلامية بصيغتها الجماعية المنظمة بمراحل طويلة بدءاً من الإخوان المسلمين في مصر والجماعة الإسلامية في القارة الهندية وغيرهما لكن يلمس الجميع بعد أكثر من نصف قرن من بدء ذلك العمل حصيلة محدودة لا تتناسب مع الفترة الزمنية؛ فهل من أسباب طبيعية لذلك؟**

أولاً: أمور الدعوة لا تقاس بموازين الماديات ومكاسب المؤسسات والمنظمات والأحزاب، وثانياً: قد لا يتفق المقومون للدعوة على الحصيلة وحجمها؛ فلذلك أرى أن الذين قاموا بالدعوة إلى الله على بصيرة حصلوا خيراً كثيراً، ونرجو أن يكون لهم في ذلك الأجر العظيم عند الله تعالى وكفى بذلك تحصيلاً.. ونحن نعلم أن هذه الدعوات كل منها بحسب ما وفق إليه من السنة مأجورة على ما أحسنت به، وهي بهذا تتفاوت تفاوتاً عظيماً فيما بينها، وفيما بين أتباعها وأفرادها، ومع ذلك فالنتائج المأمولة المتطورة أقل مما يتطلع إليه المسلمون، ومن أهم أسباب تأخر النتائج المأمولة:

* **البعد عن النهج الأسلم في العقيدة والعلم والعمل والدعوة، وهو نهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة فإنه لا يصلح هذه الأمة إلا ما صلح به أولها.**

* **ضعف الفقه في الدين، والعلم الشرعي الصافي، واعتماد الدعوة في الغالب على مجرد دعاة، ومفكرين، ومثقفين ليسوا علماء بالمعنى الشرعي وابتعاد كثير منهم عن العلماء ومناهل العلم الشرعي.**

* **التنازع والخصومات وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وهذه هي الحالقة التي تحلق الدين، وتوقع في الفشل والإحباط كما أخبر الله تعالى وأخبر رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وكما هي سنة الله في الحياة، قال تعالى ((ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)) (2).**

* **كثرة البدع والمحدثات والاتجاهات العقلانية والعصرانية وأحياناً العلمانية داخل صفوف الدعوات نفسها، فضلاً عن فئات كثيرة من الأمة ويزيد الأمر سوءاً أن بعض الحركات الإسلامية ترسخ البدعة وتروج لها أو تقوم على أصول بدعية، فأنى لها النجاح؟!**

* **تفتقر الأمة الإسلامية حالياً إلى العلماء الربانيين والقادة المصلحين الذين يقودون الأمة إلى الخير والرفعة فما السبيل إلى إيجادهم؟**

العلماء لا يصنعون إنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وهناك أسباب ترفع من يوفقه الله إلى درجة العلماء منها:

* **تحصيل العلم الشرعي على أهل العلم وبطرقه الشرعية، والاتباع وسلامة النهج في العقيدة والتلقي والتحصيل والمواصلة والصبر في ذلك.**

* **التربية الإسلامية الخالصة، والعناية بالنشء، وتوفير وسائل طلب العلم الشرعي وأجوائه، وحمايته وتحصينه من المؤثرات الشيطانية المعاصرة التي ظهر منها الفساد في البر والبحر.**

* يرتفع العالم ويعلو شأنه بعلمه وعمله وإخلاصه ونفعه.. حين يكون قدوة وعَلَم.

* تعاني الجماعات الإسلامية على اختلاف مسمياتها أمراضاً تنخر فيها مما يتسبب في تأخر المسيرة وتعثرها، فما أبرز هذه الأمراض وما تشخيصكم لعلاجها؟

الجماعات الإسلامية جزء من كيان الأمة، بل هي أفضلها، على ما تعانيه من أمراض، الجماعات فيها خير كثير، ولكنها ليست على الدرجة المطلوبة شرعاً، وأهم الأمراض في نظري ما سبق ذكره والمتمثل في:
* الانحراف العقيدي، أو ضعف العقيدة، والجهل بالسنة أو التقصير في ذلك كله.

* قلة العلماء بينهم، والجفوة بين العلماء والشباب. والعلماء لهم حق على الجميع.

* ضعف الفقه في الدين والعلوم الشرعية وقواعد الشرع.

* الاعتماد على كتب الفكر والثقافة وحدها وإهمال الكتب الشرعية أو قلة الاعتماد عليها.

* المبالغة في الاهتمامات السياسية إلى حد الإدمان والهوس.

* التنازع والخصومات في الدين والدعوة.

* التحزبات والشعارات والولاءات غير الشرعية.

* العاطفة وقلة الصبر، ونحو ذلك.

* التشاؤم، واليأس وضعف اليقين بنصر الله ووعده.

* الناس حيال الصحوة فريقان: أحدهما مشفق من مستقبل غائم نظراً للواقع القائم حالياً، وآخر مستبشر متفائل؛ فما مستقبل الصحوة بناءً على واقعها الآن في نظركم؟

المستقبل أمره إلى الله سبحانه علام الغيوب، لكن القرائن والسنن الكونية والشرعية تدل على أن المستقبل للصحوة، ومن ثم للإسلام إن شاء الله والصحوة في حاضرنا تحمل مقومات القوة والغلبة وتباشير النصر بإذن الله، وقرائن ذلك:

* الانحدار السريع لقوى الكفر والباطل، فالشيوعية سقطت والرأسمالية تترنح، وإن لم تنهار فستخر.

* الصحوة في نمو وتكامل وقوة في جميع بقاع العالم رغم ما يعترها من خلل لا يسلم منه البشر.

* الشعوب الإسلامية أدركت إفلاس جميع الحلول المستوردة العلمانية، وأن العودة لشرع الله ضرورة، ولعله من الخير أن قوى الشر لم تفقه هذه الحقيقة جيداً، وإن كانت شعرت بخطورتها لكنها لاتزال تفسرها بتفسيرات جاهلية.

* تحزب الأحزاب في جميع الدول الإسلامية وغير الإسلامية ضد الصحوة وعُدها التحدي الأخطر.. وهذه من علامات النصر للإسلام لو كانوا يعلمون

وأظن هذا التجزب والكيد ضد الصحة أعظم استفزاز سيكون للمارد الخامل النائم: أعني الشعوب الإسلامية.

لكن مع ذلك فالصحة بحاجة إلى مزيد من الترشييد والخبرة والتصحيح فهي بحاجة إلى العلماء والفقهاء الشرعي، وسلامة الاعتقاد والنهج والاعتصام بالسنة والخروج من حالة التنازع والتهارش والتآكل والعزلة إلى العمل الجاد وتحقيق الجماعة والتناصح والبناء العقدي والعلمي والعمل المؤسسي، والاهتمام بالمجتمعات والشعوب بأسلوب بناء لإعداد الأمة كلها لتحمل المسؤولية، حتى يكون الإسلام همّ الجميع.

الصحة الإسلامية في الوقت الراهن بدأت في تخطي الأطر الحزبية والتحول من جماعات إسلامية محدودة إلى تيار إسلامي عام يطالب بعودة الإسلام إلى مختلف نواحي الحياة، وعودة الأمة الإسلامية لتستلم دورها في قيادة العالم، فما هو تصوركم لهذه الظاهرة؟

أرجو أن يكون الأمر كذلك، وإن كان فإن هذا يعني النقلة من طور الطفولة والمراهقة إلى الرشد، وأن الأمة كما أسلفت بدأت تتحسس مواطن الضعف فيها ومكائنها بين الأمم، وأن ريح الإيمان قد هبت وغرس الله بدأ يثمر، وأرى أن هذه الحقيقة أقوى من كل العوائق والعقبات والخير كشجرة النعناع إذا قطعت منها غصناً أنبتت عشرة باذن الله.

*** مصطلح السلفية نسبة إلى السلف كثر استخدامه، فهل هو قصر على فئة انتسبت إليه، أم هو منهج لا يسع أحداً الخروج عنه؟ ما هو ورأيكم؟**

السلفية تعني اتباع سبيل السلف الصالح أئمة الهدى أهل السنة والحديث الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة.. وهي بهذا الوصف الصراط المستقيم وسبيل المؤمنين، ودين الحق والهدى الذي لا يسع أحد الخروج عنه، وإلا فارق الحق والسنة والجماعة، كما قال تعالى ((ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى)) (3).

التنازع بين المسلمين يؤدي إلى الفشل، فما سبب هذا التنازع بين الداعين إلى الله، خصوصاً عندما يستظل الجميع بمنهج واحد (منهج أهل السنة والجماعة)، وما علاجه عملياً؟

أعظم أسباب التنازع: الأهواء، والحزبيات، والانتماءات، وتصدر قلبي العلم الشرعي واتخاذهم رؤوساً، وهيمنة الفرق والبدع والمحدثات على كثير من المسلمين والجماعات.. والسبيل إلى الوحدة هو بتحقيق التوحيد واتباع السنة وعقد الجماعة على الولاء الشرعي والأخذ بأسباب الحياة والعزة والنصر كما أمر الله وبذل النصح لله تعالى ولكتابه ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وأسال الله أن يبارك في هذه الصحة وأن يهديها سواء السبيل، ويجمع شملها، ويوحد كلمتها على الحق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

الهوامش:

(1) سورة آل عمران: 111.

(2) سورة الأنفال:46.

(3) سورة النساء:115.

خواطر في الدعوة كونوا شامة في الناس

محمد العبد

روى أبو داود بإسناد حسن من حديث ابن الحنظلية حين سأله أبو الدرداء أن يقول له كل يوم: كلمة تنفعنا ولا تضرنا، قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رجالكم وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش.»

أراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يفرس في نفس المسلم الذوق السليم في هيئته ورحله، وكل شؤونه؛ لأن المنظر القبيح منفر للنفس، باعث على عدم الارتياح، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يريد أيضاً أن تكون شخصية المسلم شخصية متكاملة، يعطي لكل حالة حقها، فهو حسن الثياب، حسن المظهر دون إسراف ولا مخيلة عندما تستدعي الأمور ذلك، ويلبس لباس المهنة عندما يكون في مصنعه أو متجره، ويلبس لباس الحرب عندما ترتفع راية الجهاد ويلبس ما يناسب ذوقه وثقافته عندما يمارس الرياضة البدنية؛ ولكن التربية القاصرة وثقافة البعد الواحد التي سيطرت على المسلمين في عصور التخلف قد أبعدت المسلم عن هذه المرونة، فمنظره يثير الشفقة، أو يثير الاستهزاء من أعداء الإسلام.

أعرف أحد الدعاة، وقد تمكن من كثير من العلوم النافعة له في دنياه وآخرته، وأتقن عدة مهن يدوية، فكان الناس حتى من خصومه في الفكر والمنهج يسألونه المساعدة، فيبادر غير متوان لخدمتهم، فكان لهذا أثر كبير عليهم، ومثل هذا الأخ الذي أخذ أهفته واستعد لكل حالة هو شامة بين الناس.

هل من المبالغة أو المثالية أن تتكامل شخصية المسلم فتجمع هذه الجوانب المتعددة: أخلاق عالية مع القريب والبعيد، مساعدة للناس، وأن يمثل الإسلام في هيئته وكلامه وحركاته وسكناته..؟! كلا، ليس صورة خيالية، وإن تعذر ذلك فوجود عدد من الشباب المسلم يكون محط أنظار أهل حيه وقريته وزملاء عمله سيكون له تأثير كبير في تقوية الدعوة الإسلامية.

إن المسلم حقاً هو (العملة النادرة) في هذه الأيام، وفي هذا العصر الذي كثر فيه الخبث، وكثر النفاق والمداهنة، وصيغت الأمانة، وعبد الناس بطونهم وشهواتهم، فكيف إذا كان هذا المسلم شامة بين الناس؟! وإذا كان العرب قبل الإسلام يقولون عن الذي تعلم القراءة والكتابة وأتقن السباحة والرمي بأنه (كامل)، فكيف إذا كان صاحب دعوة ورسالة قد استجمع

خلال الخير، وأتقن كثيراً من الأعمال، وبذل كل ما في وسعه لقضاء حوائج الناس؟!

من فقه الدعوة

الاستبداد الدعوي!

أحمد بن عبدالرحمن الصويّان

[1]

يقال في اللغة: استبد برأيه، يعني: انفرد به. والاستبداد صفة من صفات التسلط وفرض الرأي بالقوة، وهو يقتضي تكميم الأفواه، وقطع الألسن؛ فلا تتحدث إلا في مجال محدود لا تتجاوزه وبطريقة معينة لا تتغير.. بل ينطلق الاستبداد أحياناً ليحجر على أفكار الإنسان وخواطره، بل أنفاسه وزفراته..! وأعجباً لك.. إذا كان هذا هو الاستبداد عندك، فكيف تتجرأ على وصف الدعوة بذلك..؟!

معاذ الله! فليس هذا حكماً عاماً يتساوى فيه جميع الدعاة، ولكن بعضنا قد يأخذ بنصيب وافر أحياناً من هذه الصفة، وهذه الشريحة الدعوية لا ينبغي إغفالها أو تجاهلها، والاستبداد الدعوي إن صح التعبير ممارسة تربوية ذات أبعاد خطيرة، تقتل ملكات الإبداع والإنتاج، وتعطل الطاقات لذا كان لزاماً علينا أن نسلط الضوء عليها بجرأة، لعلاجها والتخلص منها. وذكر الحقيقة كاملة قد يتبعها مرارة وحزن، ولكنها تنتهي بالسعادة، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، وقد لا ينقطع الوسخ إلا بنوع من الخشونة، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة، ما نحمد معه ذلك التخشين». (1)

[2]

أرأيت إلى ذلك المرهب الذي لا يُحب أن يسمع رأياً غير رأيه، ولا يرضى باقتراح أو نصح من أحد، فإذا تكلم؛ فَمَن حوله سكوت، وإذا أشار؛ فالناس له تبع، أتباعه ومريدوه حقه السمع والطاعة، في المنشط والمكره، في العسر واليسر، في الخير والشر..!!

مفهوم الشورى عنده: إخبار الآخرين بما يرى، فإن وافقوه فيها ونعمت، وإن خالفوه، فالشورى مُعلمة لا ملزمة.

إذا نظر إلى وجه مريده طأطأ المريد رأسه حياءً وخجلاً، واجمر وجهه وفرقع أصابعه؛ حتى إذا اشتد عوده، واستوى ساقه، أصبح بارعاً في اجترار الأفكار، وترديد الكلمات، لا يباريه أحد في فن التقليد، ليس له عقل يفكر فقد ضمير وتأكل مع طول العجز، واستفحال المرض، أقرب الأمثال إلى عقله: (من قلّد عالماً لقي الله سالماً)، ولماذا يفكر ويجهد ذهنه، ويضيع وقته وبين

يديه شيخه الجهبذ الذي أبصر الحقائق، وأدرك الأمور، وانكشفت له المعضلات...؟!!

من أنت حتى تستشار أو تبدي رأياً...؟!!

ومن أنت أصلاً حتى تفكر وتتأمل...؟!!

أرأيتم كيف نمارس الاستبداد الدعوي...؟!!

[3]

أرأيتم إلى طالب العلم الذي يظن أنّ رأيه هو عين الحق الذي لاحق غيره ولا يحق لأحد أن يخالفه أو يعترض عليه، اجتهاده قاطع لكل اختلاف، ورأيه جامع لكل خير، فهو البحر الذي تجتمع عنده الأنهر، والوادي الذي تصب فيه الشُعب...!

إذا خالفه أحد ضاق صدره، واضطربت نفسه، وتزلزت أقدامه، وإذا أفاق من هول الصدمة، سلّ سيوفه مستعداً للمبارزة والطعان، دون أن ينظر أحق هو أم باطل.

كل مخالف له مبطل .. مهما كان دليله..!

وكل معارض له مفسد .. مهما كانت حجته..!

همه أن يتلقى عنه الأتباع، ومراده أن يستمع له الناس، كل تقليد مذموم إلا تقليده..! أحكامه صارمة قاطعة، لا تقبل المناقشة أو المحاورة، ومن لم يقبل هذه الأفكار فلينطح برأسه الجدار..!

جلوا صارماً، وتلوا باطلاً وقالوا صدقنا؟ فقلنا: نعم!

أرأيتم كيف نمارس الاستبداد العلمي...؟!!

[4]

أرأيتم كيف توأد الأفكار، وتخنق الأصوات، وتحطم ملكات الإبداع والإنتاج، ويربى الخانعون...؟!! أخزى الله الاستبداد، فكم قتل من الطاقات وكم قطع من طرق للتصحيح والتغيير..!

كان السلف الصالح والأئمة الأخيار يختلفون فيقول قائلهم: «جائز ما قلت أنت، وجائز ما قلت أنا، وكلانا نجم يهتدى به فلا علينا شيء من اختلافنا» (2). ويقول الآخر: «ألا يستقيم أن نكون إخواناً، وإن لم نتفق في مسألة؟» (3). أما نحن إذا اختلفنا، فلسان حالنا: (ما أريكم إلا ما أرى..!).

إن مصادرة آراء الآخرين، وغلق الأبواب في وجوههم؛ يجعل جذور الخطأ تمتد إلى الأعماق، ثم يصعب تصحيحها أو على الأقل تخفيفها؛ ولهذا فنحن نحتاج إلى ترويض ومتابعة؛ لكي نتعلم كيف نقدّ الرأي الآخر، وننجو من مصادرة عقول الآخرين، والمنهج الشرعي يقتضي أن نقطع في الأمور القطعية التي قطع بها السلف الصالح، وأما المسائل الاجتهادية في فروع العلم سواء في الفقهيات، أو في فروع العمل الدعوي المتجددة فالأمر فيها واسع ولله الحمد والمثّة، والاختلاف فيها أمر وارد لم يسلم منه جيل الصحابة رضي الله عنهم وما وسعهم يسعنا، وما قد يكون واضحاً عندك، قد لا يكون

كذلك عند غيرك، وما يتبين لك صوابه الآن قد يتبين لك خطؤه غداً؛ لأمر ينقذ في ذهنك، ولهذا تواتر عن علمائنا وأئمتنا أنهم يقولون في المسألة الفرعية الواحدة قولاً، ثم يقولون بخلافه بعد ذلك.

وها هو ذا الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور يريد أن يحمل الناس على كتاب الإمام مالك بن أنس الموطأ، ويوجههم على رأي، فيقول له الإمام مالك: «لا تفعل فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، وعملوا به، ودانوا به، من قبل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وغيرهم، وإن ردهم عما اعتقدوه شديد، فدع الناس وما هم عليه وما اختار كل بلد لأنفسهم». قال الحافظ ابن عبد البر القرطبي: «وهذا غاية في الإنصاف لمن فهم» (4).

ورحم الله الإمام الشاطبي حيث يقول: «فإن الله حكم بحكمته أن تكون فروع الملة قابلة للأنظار ومجالاً للظنون، وقد ثبت عند النُّظار أن النظريات لا يمكن الاتفاق فيها عادة، فالظنيات عريضة في إمكان الاختلاف فيها لكن في الفروع دون الأصول، وفي الجزئيات دون الكلّيات، فلذلك لا يضر هذا الاختلاف» (5).

إن الاستبداد خصلة لا يعجز عنها أحد في الغالب، وهو دليل على العجز والضعف. ولكن فتح أبواب المشورة، والتراجع عن الخطأ، واتساع الصدر للرأي المخالف، منزلة لا يرقى إليها إلا عباد الله المخلصون.

الهوامش :

- (1) مجموع الفتاوى (28/53).
- (2) جامع بيان العلم وفضله (2/87).
- (3) سير أعلام النبلاء (10/1617).
- (4) جامع بيان العلم وفضله (1/132).
- (5) الاعتصام (2/168).

نصوص شعرية

عندما تعود الريح

د. محمد بن ظافر الشهري

عن زمن الفشل
يسأل من سأل
وعن دهب الريح
عن تكالب الدول
وعن دمائنا تراق
وعرضنا يباح
وعن صغيرنا يساق
وشيخنا يُدَل

فقلت لا: تسل!

في زمن الفشل
يُشيعُ القاتلُ مَنْ قَتَلَ!
يُعيِّرُ العادلُ أَنْ عَدَلَ!
ويوصفُ الجائرُ بالبطل!
يعترفُ البريءُ
بأنه جَنَى
ويذكرُ الفاعلُ ما فعل!

في زمن الفشل
يعيشُ كلُّ كافرٍ حرّاً بلا قيودٍ
وكلُّ من أسلمَ مُعْتَقَلُ!
وينتخي اليهودُ
وأمةٌ تسودُ
وأمةٌ تشاءُ
وأمةٌ تريدُ
وأمةٌ واحدةٌ فقط..
في قبضة القيود لم تزل!

في زمن الفشل
يستبدل الناس بـ «لا»: «أجل»!
فيمعن اللصوصُ في..
«إعادة الأمل»!
في وضح النهار
ودونما وجل..
لسائهم كنومنا طويل!
وسمعهم يُطرِبُهُ العويلُ
وسيفهم يكفرُ بالعَدَلُ!

في زمن الفشل
كفّن في جرابه الحُسامُ
وكبر الإمامُ
بأربع أعقبها السلامُ
فطاب للثعالب المقامُ..
ولم تُعد تلجأ للحيل!

في زمن الفشل
العلمُ لا يهتفُ بالعملِ
العلم كي يُرَى
العلم للثراءِ
العلم للمراءِ
العلم للجدلِ!

في زمن الفشل
يكون في الدعاءِ
من لا يكون همُّه
عبادة الإله
ولا يكون همُّه
نصيحة العصاةِ
ولا يكون همُّه
صناعة الحياةِ
لكن كلَّ همِّه
تَصِيدُ الرَّلَّ!
في زمن الفشل
يستعزُّ اللهيب في البطونِ
والناس يأكلون..
يأكلون
وليس ثمَّ أكل!

في زمن الفشل
يُقَدِّفُ بالنساء للعملِ
ويصبحُ «القراي» للرجلِ!
وعندها تُصَيِّعُ العيالُ
تسترجل النساءُ
يستنوقُ الجملُ

في زمن الفشل
ينحرفُ الكبارُ والصغارُ
فالشيوخُ لا ينعم بالوقارِ
والطفلُ قد شَبَّ على الصغارِ
والأمُّ في المساءِ
تلعبُ بالقمارِ
وفي النهارِ..

تعبتُ في شواطئ البحارِ
و «الزوجُ» مستعارٌ..
متيمٌ يسكرهُ العَزَلُ

عن زمن الفشلِ
يا أيها السائلُ لا تَسَلْ
واسأل عن العودة للمُثَلِّ
عن صحوة الهدى
واثقةً تمشي على مَهَلٍ
تسيرُ خلفَ خاتمِ الرِّسْلِ
تسيرُ لا تَمَلُّ
فَعِنْدَها وَعْدٌ بأنْ تَصِلْ
يا أيها السائلُ لا تَسَلْ
عليك بالعملِ
عليك بالعملِ.

دراسات تاريخية

منهج التفسير التاريخي

قواعد منهجية في تفسير الحوادث والحكم عليها (1)

د. محمد أمحزون

يقصد بدراسة التاريخ معرفة الروابط التي تربط الأحداث والوقائع المختلفة؛ لتبين دوافعها ومنطلقاتها ونتائجها، واستخلاص السنن والعبر من خلالها، ويعتبر تعريف ابن خلدون في هذا الصدد تعريفاً جيداً، لأنه نصّ على وجوب النظر في الأخبار وتحققها، كما أكد على النظر في العلل والأسباب. ومن هذا المنطلق، فالتاريخ ليس مجرد سرد للحوادث فحسب، بل هو تفسير لتلك الحوادث وتقويم لها، ومن ثم أصبح التاريخ أحد الأسلحة التي تستخدم في مجال التوجيه وصياغة الأفكار ونشر المبادئ وتأييدها، كما أنه أصبح يأخذ دوره في الصراع العقائدي بين الأمم، ولهذا لا بد من دراسته وفق منهج معين.

لكن يا ترى ما هو ذلك المنهج المطلوب؟

في الاصطلاح اللغوي يقال: النهج، والمنهج، والمنهاج، وكلها بمعنى واحد، وهي تعني الطريق الواضح، وبمعنى آخر: السبيل الفكري والخطوات العملية التي يتبعها الباحث في مساره بقصد تحصيل العلم.

أما في الاصطلاح التاريخي، فالمنهج يعني في الدراسات التاريخية: القواعد والشروط التي يجب مراعاتها عند معالجة أي حدث تاريخي سواء أكان بالكتابة والتأليف أم بالدراسة والتعليم.

ومن الملاحظ أن المنهج في الدراسات التاريخية عندما يطلق يراد به أمران: الأمر الأول: التوثيق وإثبات الحقائق، والأمر الثاني: التفسير التاريخي، أي معرفة مصادر تفسير الحوادث والحكم عليها.

ويستنتج من ذلك أن المنهج قسمان: منهج التوثيق وإثبات الحقائق ومنهج التفسير التاريخي.

أما القسم الأول فيراد به دراسة سند الروايات التاريخية وممتنها بغية التثبت من النصوص وتمحيص الأخبار، وذلك بربط دراسة التاريخ الإسلامي إلى حد ما بما يعرف بـ «علم الجرح والتعديل»، وهو علم جليل يقوم على دراسة مستفيضة لأحوال الرواة والتحري عن ميولهم وصفاتهم وأخلاقهم وعقائدهم. ومما لا شك فيه أن المصنفات في قواعد الرواية وفي علم الرجال يمكن الاستفادة منها في حقل التاريخ الإسلامي إلى حد ما، إذ تكشف النقاب عن قواعد التحديث وأحوال الرواة لتمييز القوي من الضعيف والصادق من الكاذب، وبذلك يُعرف لكل خبر قيمته، فتستخرج الروايات الصحيحة والحسنة، وتستبعد الأخبار الضعيفة والموضوعة وبنه عليها، لاسيما وأن من أهداف الدراسات التاريخية إبراز الحقائق التي تعتبر هدفاً منشوداً يتوخاه كل باحث نزيه.

لكن سنقتصر في هذه الدراسة على القسم الثاني من المنهج المتعلق بتفسير الحوادث، وذلك بذكر مجموعة من القواعد والضوابط التي يمكن من خلالها الحكم على الحوادث التاريخية، وتفسيرها تفسيراً يتماشى مع النظرة الإسلامية للكون والإنسان والحياة.

فالتاريخ الإسلامي هو تاريخ دين وعقيدة قبل أن يكون تاريخ دول ومعارك ونظم سياسية، لأن العقيدة هي التي أنشأت تلك الكيانات من الدول والمجتمعات بنظمها السياسية والإدارية والتعليمية والاقتصادية وغيرها.

ولأجل هذه الصفة، فإنه ينبغي دراسة التاريخ الإسلامي وفق التصور الصحيح والموازن الشرعية، على أن خصوصية التاريخ الإسلامي تتجلى في كونه منهجاً يوضح دور الإنسان ومسؤوليته عن التغير الاجتماعي والتاريخي في إطار المشيئة الإلهية، لأن التاريخ البشري في المنظور الإسلامي هو تحقيق المشيئة الربانية من خلال الفاعلية المتاحة للإنسان في الأرض بقدر الله، وبحسب سنن معينة يجري الله بها قدره في الحياة الدنيا.

إن المنهج الإسلامي لتفسير التاريخ لا يخرج عن دائرة المعتقدات الإسلامية، كما أنه مبني على دوافع السلوك في المجتمع الإسلامي، مما جعل حركة التاريخ الإسلامي ذات طابع متميز عن حركة التاريخ العالمي لأثر الوحي الإلهي فيه.

القاعدة الأولى: اعتماد المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر فيما نصت عليه من أخبار وضوابط وأحكام:

ويرجع ذلك إلى اعتبارين اثنين:
الاعتبار الأول: لأنها أصدق من كل وثيقة تاريخية فيما ورد فيها من الأخبار، وذلك لصدق مصدرها وعلمه وهيمته، كما أنها وصلتنا بأوثق منهج علمي، حيث وصلنا القرآن الكريم بالتواتر الموجب للعلم القطعي، وصحيح السنة وصلنا بمنهج علمي دقيق حيث اتبع علماء الحديث والرواية أرقى منهج علمي وأوثقه في تدوين السنة.

الاعتبار الثاني: لما تدل عليه من القوانين التاريخية والسنن الربانية والنظرة الشمولية لتاريخ البشرية كلها على مدار الزمان في الماضي والحاضر والمستقبل، مما يعطي الباحث سعة وشمولاً في النظرة التاريخية، وعمقاً في تحليل الأحداث ومقدرة على تشخيص الداء، ووصف الدواء. إن هذا الكون بما فيه الإنسان هو خلق الله؛ فلا بد من الرجوع إلى الخالق لفهم هذا الخلق، وإذا رجعنا إلى الوحي المنزل من الخالق لهداية البشرية، نجد السنن واضحة والاتجاهات محددة.

ومن المعلوم أن الوحي (الكتاب والسنة) وضع لنا السنن (أي القوانين الطبيعية والاجتماعية المبتوثة في الكون والأنفس والمجتمعات) التي تسير في إطارها الأحداث، ويحكم من خلالها الأمم والدول والأشخاص. ومن خلال السنن الربانية في كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- نفهم التاريخ ونفسر أحداثه، ونعرف عوامل البناء والأمن والاستقرار والبقاء، وعوامل الهدم والخوف والسقوط والتدمير، وهذه السنن مرتبطة بالأمر والنهي والطاعة والمعصية، والإيمان والكفر، والتوحيد والشرك. قال تعالى: ((قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذابين)) (1). وقال تعالى: ((إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)) (2). فقانون تغير الحال إلى الأحسن أو الأسوأ هو تابع لجهد الإنسان، وسلوكه وتصرفه.

إن القرآن والسنة يعطيان الباحث المفاهيم والمبادئ التي يمكن في ضوءها تفسير أحداث التاريخ والحكم عليها، هذا علاوة على ذكر ما سيؤول إليه حال الأمة الإسلامية وما يصيبها من التفرق، وما يكون فيها من حركات الإصلاح والتجديد، والإشارة إلى عدد من الأحداث والفتن، والموقف من بعضها، وقد اعتنى أهل السنة بجمعها ووضع أبواب لها في مصنفاتهم (3). ولئن كانت المادة التاريخية في كتب السنة ليست بالمقدار نفسه الموجود في المصادر التاريخية، إلا أن لها أهميتها لعدة اعتبارات منها: أن معظم مؤلفيها عاشوا في فترة مبكرة، وأغلبهم من رجال القرن الثاني والثالث الهجري، مما يميز مصادرهم بأنها كانت متقدمة. ثم إن المحدثين يتحرون الدقة في النقل، الأمر الذي يجعل الباحث يطمئن إلى رواياتهم أكثر من روايات الإخباريين.

على أن المحدث كان عند جمهور المسلمين أشرف موضوعاً، وأسمى منزلة من الإخباري، ويرجع ذلك إلى ضبط المحدث ودقته وتمحيصه للروايات التاريخية وتحريه في القول، بينما كان الإخباري مظنة للإغراب والتلفيق والاختلاق.

القاعدة الثانية: الفهم الصحيح للإيمان ودوره في تفسير الأحداث:

إن دارس التاريخ الإسلامي إن لم يكن مدركاً للدور الذي يمثله الإيمان في حياة المسلمين، فإنه لا يستطيع أن يعطي تقييماً علمياً وواقعياً لأحداث التاريخ الإسلامي.

وعلى سبيل المثال: فهجرة المسلمين من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة كانت هجرة من أجل المبدأ، يوجهها الإيمان الذي كان بالنسبة للمسلمين المهاجرين المحرك الذي ساق الأفراد والجماعات إلى مصائرهم وإلى صنع تاريخهم، فلم تكن هجرة من أجل الوطن أو المال أو المنصب، إذ تركوا من ورائهم وطنهم وأموالهم ودورهم ومتاعهم فراراً بدينهم من الفتن واستمسكاً بعقيدتهم، فقدموا بذلك مثلاً عالياً من التضحية والإخلاص في سبيل أن تكون كلمة الله هي العليا.

أما أهل المدينة وهم الأنصار الذين أووهم في بيوتهم وواسوهم بالمالي ونصروهم، فقد قدموا بذلك المثل الصادق للأخوة الإسلامية، تلك الأخوة التي لم يجعلها الإسلام لفظاً فارغاً أو تحية تثرثر بها الألسنة، وإنما عملاً مرتبطاً بالدماء والأموال، وبعواطف الإيثار والمواساة التي ملأت المجتمع المدني بأروع الأمثال.

قال تعالى في شأن هذه المواقف الإيمانية: ((للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله، أولئك هم الصادقون* والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)) (4).

كما أن المجاهد المسلم عندما يقاتل في سبيل الله يعلم أنه ليس وحده الذي يقاتل الكفار، وأنه لا يقاتلهم بكثرة الجنود ولا بتفوق السلاح وحده إن توفر ذلك له وإنما يقاتل بالإيمان الصادق الذي يحمله، وبما يعلمه من تأييد الله للمجاهدين الصادقين، وما يمددهم به من وسائل مادية ومعنوية كقتال الملائكة إلى جانبهم أو تسخير عوامل طبيعية لهم أو تثبيت قلوبهم بإنزال السكينة والطمأنينة عليهم، أو بما يمددهم به من الصبر وقوة التحمل، ورباطة الجأش إلى غير ذلك من الوسائل المنظورة وغير المنظورة.. فقد أنزل الله الملائكة يقاتلون إلى جانب المسلمين في معركة بدر، قال تعالى: ((إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين)) (5). وأرسل الله ريحاً شديداً فرقت الأحزاب المحاصرة للمدينة يوم الخندق، قال تعالى: ((يا

أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليها ريحا و جنوداً لم تروها، وكان الله بما تعملون بصيراً)) (6).

وعند البحث مثلاً عن الأسباب التي أدت إلى انتصار المسلمين في معركة اليرموك سوف نجد أن عدد الروم ستة أضعاف عدد المسلمين، وجيش الروم جيش نظامي مدرب وجيد التسليح، بينما الجيش الإسلامي أقل منه عدداً وعدة وتدريباً، ويقاقل بعيداً عن مركز الخلافة، ومع ذلك حصل له النصر المبين.

على أن المتأمل والباحث في الأسباب المادية المنظورة بحثاً عقلياً مجرداً لا يستطيع أن يقبل نتيجة المعركة رغم أنها متواترة حساً وواقعاً، وهذا يرجع إلى الجهل بالعوامل الحقيقية المحركة للتاريخ الإنساني في غيبة العلم الصحيح وإلى إغفال سنن الله في الخلق، وهي سنن ثابتة وصارمة، ((فلن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً)) (7)، ومن السنن التي أوضحها القرآن الكريم قانون التدافع أو سنة الصراع بين الإيمان والكفر عبر تاريخ الإنسانية الطويل وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، ومن خلال هذا الصراع يختبر الله عباده المؤمنين ويميزهم بالابتلاء ((أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله، ألا إن نصر الله قريب)) (8).

وبين سبحانه وتعالى أن المؤمنين إذا تميزوا بالثبات على العقيدة والإيمان وأداموا ذكر الله وطاعته ووجدوا صفوفهم واعتصموا بالصبر، فإن النصر حليفهم وإن كانوا قلة ((كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله)) (9)، ((ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً)) (10)، ((وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)) (11)، ((إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)) (12)... إلى غير ذلك من السنن الساطعة والحقائق الثابتة.

لكن الله أمر المؤمنين بالأخذ بالأسباب وحشد الطاقات والإمكانات المتاحة للوصول إلى القوة اللازمة لإرهاب العدو والتمكين للإسلام ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)) (13). وأوضح أن الجهد الإنساني للمؤمنين هو الذي يحسم الصراع لصالح الإيمان وعمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني، لذلك شرع سبحانه الجهاد ((ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً، ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز)) (14).

وأخيراً، فإن الله أوضح أن عاقبة الصراع تكون دائماً للمؤمنين مهما طال الطريق وعصف بهم طغيان الباطل ((وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً)) (15).

القاعدة الثالثة أثر العقيدة في دوافع السلوك لدى المسلمين:

إن منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتفسير حوادثه يعتمد في أصوله على التصور الإسلامي، ويجعل العقيدة الإسلامية ومقتضياتها هي الأساس في منطلقاته المنهجية وفي تفسير حوادثه والحكم عليها، لذلك ينبغي في تفسير التاريخ الإسلامي الرجوع إلى المصادر الشرعية لمعرفة دوافع السلوك في المجتمع الذي نشأ وتكون على هدي الشريعة وشكل حياته ومفاهيمه وفقاً لها، وكانت تعليماتها وأوامرها ونواهيها موجهة لجميع شؤون حياته. إنه لا بد من إدراك البواعث الحقيقية لتصرفات الناس في صدر الإسلام وعلاقة هذه البواعث بالحوادث والعلاقات الإنسانية والاجتماعية، ونظم الحكم وسياسة المال، وطرق التشريع ووسائل التنفيذ في إطار المبادئ والمفاهيم والقيم الإسلامية.

إن دوافع السلوك في المجتمع الإسلامي الذي تهيمن عليه العقيدة كانت في صدر الإسلام تتأثر كثيراً بالتطلع إلى ما عند الله، إلى الجزاء الآخروي وصفوة المؤمنين عادة لا يشركون دوافع أخرى في سلوكهم، إذ لا بد من إخلاص النية لله تعالى في كل أعمال المسلم سواءً أكانت جهاداً بالنفس أم نشاطاً اجتماعياً أم اقتصادياً أم سياسياً، فعمل المسلم في كل مجالات الحياة يدور حول إرضاء الله تعالى، ويعرف المسلم أنه إذا أشرك في نيته وأثر الدنيا فإنه يحبط عمله، كما ورد في الحديث الشريف «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له وابتغي به وجهه» (16). وإذا كان هذا التصور يتحكم في كثير من المسلمين الملتزمين اليوم، فكيف كان أثر ذلك في جيل الصحابة والتابعين وهم خير القرون!

إن معرفة أثر الإسلام في تربية أتباعه في صدر الإسلام، وتزكية أرواحهم والتوجه إلى الله وحده بالعبادة والمجاهدة، يجعل من البدهي التسليم بأن الدافع لهم في تصرفاتهم وسلوكهم لم يكن دافعاً دينياً بقدر ما كان وازعاً دينياً وأخلاقياً يحث على فعل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولأجل ذلك يجب استعمال الأسلوب النقدي في التعامل مع المصادر التاريخية، وعدم التسليم بكل ما تطرحه من أخبار، وإحالة رواياتها قبل القبول بها على المجرى العام للمرحلة التاريخية لمعرفة هل يمكن أن تتجانس في سداها ولحمتها مع نسيج تلك المرحلة أم لا؟

وهكذا توضع الواجهة العامة للمجتمع الإسلامي وطبيعته وخصوصيته في الحسبان، وينظر إلى تعصب الراوي أو الإخباري أو المؤرخ من عدمه، فمن لاحت عليه إمارات التعصب والتحيز بطعن أو لمز في أهل العدالة والثقة من الصحابة، أو مخالفة لأمر معلوم في الشريعة أو عند الناس، أو معاكسة طبيعة المجتمع وأعرافه وقيمه الثابتة، ففي هذه الأحوال لا يؤخذ منه ولا يؤبه بأخباره لأن التحيز والتعصب حجاب ساتر عن رؤية الحقيقة التاريخية.

وللحديث بقية..

الهوامش:

- (1) سورة فاطر: 43.
- (2) سورة الرعد: 11.
- (3) أفرد لها الإمام البخاري كتابا في الجامع الصحيح سماه «كتاب الفتن» وكذا مسلم في الجامع الصحيح «كتاب الفتن وأشرط الساعة»، وأبو داود في السنن «الفتن والملاحم»، وغيرهم.
- (4) سورة الحشر: 8،9.
- (5) سورة الأنفال: 9.
- (6) سورة الأحزاب: 9.
- (7) سورة فاطر: 43.
- (8) سورة البقرة: 214.
- (9) سورة البقرة: 249.
- (10) سورة النساء: 141.
- (11) سورة الروم: 47.
- (12) سورة محمد: 7.
- (13) سورة الأنفال: 60.
- (14) سورة الحج: 40.
- (15) سورة النور: 55.
- (16) أخرجه النسائي في السنن، كتاب الحج، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر، ج 6، ص 25.

المسلمون والعالم

ليس دفاعاً عن السودان قراءة هادئة في قضية طرد السفير البريطاني من السودان

د. عبد الله عمر سلطان

أوكلت القناة الرابعة في التلفاز البريطاني إلى الصحفي الشهير «روبرت فيسك» إعداد حلقات مسلسلة عن العلاقة بين الإسلام والغرب عنوانها «من بيروت.. إلى البوسنة إلى آخر العالم» خلص فيها إلى أن نظرة الغرب إلى الإسلام قائمة على ثلاثة عوامل مشتركة: سوء النية.. وسوء الفهم.. والاتهامات الجاهزة (المعلبة)!!

في ثنايا الشريط التلفازي الذي يتألف من أربع حلقات، تمتد لأربع ساعات يقف «فيسك» أمام أنقاض أحد المساجد في البوسنة وهو يقول:

«الحكومات الغربية تريدنا أن نفكر في السلام في الشرق الأوسط، وقد كانت تفضل ألا نشاهد الدمار، وأن لا نكتب عنه.. إنها تفضل لو أننا خرس».

ويتجول فيسك في جولته في قرية بوسنية تقع في الشمال بعد أن زارها قبل عام حيث كان المسجد الجريح المحطم قائماً يذكر فيه اسم الله، ويرفع فيه ذكره، أما الآن فمراسل جريدة «الإنديبندنت» يستعرض لنا الخراب الذي حل ببيت الله ويعلق قائلاً: «إلى متى سيتحمل المسلمون هذا النوع من العنف؟! إلى متى نردد أننا لا نفهمهم حينما يحاولون إجهاض هذا العنف الموجه ضدهم؟! بل إننا (يعني قومه من الغربيين) نحب أن نطلق عليهم وصف الإرهابيين المتطرفين.

إنني حينما أرى كل مرة هذا الدمار أتساءل بيني وبين نفسي عما يخبئ لنا العالم الإسلامي.. ربما كان على تقارير الصحفيين أن تنتهي دائماً بالعبارة التالية: احذروا جيداً...!!، لقد لمس المراسل البريطاني في برنامجه التلفازي حصاد المرارة وشوك المعاناة التي تحاصر العالم الإسلامي شرقاً وغرباً؛ بسبب «العنف» الغربي الذي يؤله «المادة» ويعبد «القوة»، ويستخدم مصطلحات التسلط وترسانة الأسلحة للتعامل مع عالم إسلامي ممزق ومحاصر وملاحق.. وكانت الصور المعروضة تزيد من خوف الغربي من هذا المخلوق المرعب والمُرعب في اللحظة نفسها دون تقديم تفسير عميق لحالة الغضب التي تجتاح أحاد المسلمين اليوم كلما ذكر الغرب أو حضرت إلى خشبة مسرح الحياة آلياته القمعية بصورها المتعددة.. إن ذلك لا يلمس إلا في لقطات خاطفة حينما يعرض فيسك بالصورة ضحايا العريضة الإسرائيلية في لبنان منذ 1982م، ويقدم بصورة مباشرة لا لبس فيها شخوص الحدث: مدني مسالم تلاحقه قنابل النابالم التي زرعتها قوات الغزاة في أجساد الأطفال والنساء والشيوخ، وما غفل عنه فيسك أو مر عليه مروراً عابراً هو تعريفه للعنف: هل هو الصورة الساذجة لإخضاع القوي للضعيف بمنطق السوط وقانون «الدهس»؟!.

صحيح أنه يلامس مشاعر المسحوقين لكنه لا يركز على صور العنف الدبلوماسية والمكر السياسي وقفاضات الخنق الحربية التي تستخدمها الحكومات الغربية التي تريد من وسائل إعلامها أن تصمت!!

تصور لو أن حكومة إسلامية قوية «ومستقلة» قررت أن يقوم رأس الهيئة الدينية فيها بزيارات إلى الهند تلبية لدعوة رسمية من قبل حكومة نيودلهي وذلك للتخفيف من حدة النزاع الدائر بين السلطات الهندية والمسلمين في كشمير وبعد إعداد التفاصيل من قبل سفير هذه الدولة ثبت للحكومة الهندية أن السفير المسلم لهذه الدولة الافتراضية كان يجري اتصالات سرية بالحركة الإسلامية المسلحة في كشمير التي تنقسم إلى عدة فصائل من أجل توحيدها لضرب الحكومة المركزية في نيودلهي، وقد استطاع إقناع تلك الشخصية الإسلامية المرموقة أن يغير خط سيره إلى «جيب جغرافي» يسيطر عليه المجاهدون في كشمير حتى يظهر عدالة القضية الكشميرية التي أصدرت الأمم المتحدة حيالها قرارات واضحة توصي بحق سكان المنطقة في تقرير مصيرهم!!

السؤال: كيف سيكون تصرف حكومة نيودلهي تجاه مثل هذا العمل الاستفزازي بل كيف سيكون موقف الإعلام العربي «المحايد» و «المستقل»! تجاه تصرفات هذه الشخصية الإسلامية التي شوهدت صورة التسامح وشرخت بتأمرها «عدالة الإسلام واعتداله»!!

لكم أن تتصوروا ذلك.. كما لكم أن تتخللوا أن هذه الشخصية هي شخصية الشيخ...!! أن يحاضر المعتدلون والشرق أوسطيون وزعماء الجنوح إلى السلام عن بشاعة التطرف وسوء خلق «المتاجرين بالدين» وتيار الاستفزاز الأصولي؟!!

ثم ماذا سيكون موقف الحكومات الغربية ووسائل إعلامها التي دائماً ما تحض على ضبط النفس إذا كان الضحية بلداً مسلماً بينما تفرغ «عنفها» وتسلطها» و «إرهابها السياسي» والإعلامي إذا كان المُستفَز دولة من دول العالم .. بل حتى دولة أقدس رموزها حيوان يدب على أربع...؟

لقد قام الأسقف البريطاني «جورج كيري» بالدور الافتراضي نفسه الذي رسمنا خطوطه العريضة حينما قرر زيارة السودان .. وبالطبع من حق أسقف كاتدربري أن يزور السودان لألف سبب أهمها رعاية أبناء معتقده، وعلى حكومة السودان أن تكون «متحضرة» و «معتدلة» وأن تهيء له كامل وسائل الراحة والاستجمام لأكبر رمز انجليكاني في العالم، ومن حق السفير البريطاني أن يتدخل حتى في نوعية الحليب الذي يقدم لقدامته!! لكن هل من حق السفير أن يسلك سلوكاً تعتبره الدولة المضيئة تأمراً وبأسلوب مكشوف ليعلم الأسقف قبل يوم واحد من الزيارة أنه سيزور معاقل المتمردين «الصليبيين» في الجنوب وأنه لن يزور الخرطوم التي يستعمر حكامها المسلمون رعايا الكنيسته .. في الجنوب؟!!

هل من حق «سفير» أو «خفير» يمثل دولة حضارية أن يقدم أوراق اعتماده لرأس الدولة ثم يسحب قولاً وفعلاً الشرعية التي تعترف بها دول العالم لحكومة السودان ليقدمها إلى فصائل التمرد الصليبي المتناحرة دون حياء أو خجل؟!!

إن هذا التصرف لا تقبله أي دولة تدعي الاستقلال فضلاً عن أن تكون مستقلة فعلاً حتى ولو كانت إحدى دويلات جزر الكاريبي التي يطلق عليها المستعمرون البريطانيون سخرية اسم «جزر الموز».

وللأسف إن بريطانيا تتولى دون موارد تجميع القوي المناوئة للحكومة السودانية الحالية في داخل السودان وخارجه حتى أصبحت لندن بؤرة تجمع ودعم لكل من يحاول تفتيت السودان تحت شعار إسقاط النظام الأصولي .. والسفير البريطاني له قدم سبق في ذلك لا سيما وأن عواطف صليبية حميمة كانت تحركه وهو المولود في جواتيمالا «أمريكا اللاتينية» والذي تربي ليكون منصراً لا دبلوماسياً خصوصاً وأنه فيما يظهر متشبع بفكرة تحطيم كيان السودان القائم لصالح المشروع الصليبي المنطلق من الجنوب والذي يُسوق عالمياً على أنه نظام عالمي جديد..

أي نظام هذا؟! وهو يغذي الانقسام والفوضى والحرب الأهلية في القطر الواحد.. أي عالمي؟! إلا إذا كان منطلقاً من المفاهيم العنصرية الاستعمارية للقوى الغربية التي ترى أن العالم نفسها!!

وأي جديد؟! وهو يعيد التذكير بدور المندوب السامي البريطاني الذي كان يحكم النمر الكارتونية المتمثلة في رؤوس الأنظمة المستعمرة. وهل تغيير مسمى المندوب السامي إلى السفير البريطاني يحمل معطيات جديدة للعملية الاستعمارية ومعادلة الهيمنة والغطرسة التي كانت ولا زالت سائدة في خيال صانعي القرار في دول الغرب؟!!

ثم لا يتورعون عن إطلاق تلك التصرفات باسم النظام العالمي الجديد. ألم يقل روبرت فيسك في نهاية شريطه عبارة تلخص هذا الإفك بقوله: إذا كنت لازلت مؤمناً بالنظام العالمي الجديد فعليك ألا تشاهد هذا البرنامج.

ونحن نقول إذا كنت مؤمناً بالنظام العالمي الجديد فخذ أخبار السودان المطارد عن طريق هيئة الإذاعة البريطانية التي سخرت مقدراتها الإعلامية الهائلة لمحاصرة السودان وتلميع حراب الحملة الصليبية ورموزها الحاقدة، هذه الهيئة استطاعت أن تسخر هذا الحادث بصورة نمطية مُعدية، انتقلت بموجبها العدوى إلى الصحف العربية المهاجرة التي رحلت بجوارها وكان هذه الحادثة هي الأولى من نوعها في التاريخ المعاصر، مع أن السفير البريطاني في كلومبيا قد سبق طرده في مايو 1991م دون أن يتحول ذلك التصرف إلى «ملحمة إعلامية» مشابهة لقصة سفيرهم في السودان!! هل عرفتم من يعنون بالنظام العالمي الجديد؟!!

لقد كان جديراً بروبرت فيسك أن يزور جنوب السودان وشماله ليسجل لقطات موعلة في البشاعة والتآمر على كل ما يمت للإسلام والعرب بصلة من قبل القوى الغربية، ليفهم لماذا كان المسلمون يقيمون علاقتهم بالآخر الغربي بهذه الصورة وهم لا يرون ولا يلمسون ولا يعرفون الغرب إلا بصورة جسم يهودي مغروس في أحشائهم حيناً...، أو قصف وحشي يأخذ مداه المتغطرس المجنون ويقذف بالجحيم على العزل من سكان البوسنة، أو حصار اقتصادي ودعم لحركات بربرية في جنوب السودان تلقى كل الدعم من القوى الغربية لا لشيء إلا لأنها تريد أن تشوه وجه السودان أكبر بوابة عربية مسلمة في قلب القارة، الخضراء.. هذا الوجه المسلم العربي يراد أن يستبدل ببيادق مجلس الكنائس العالمي ولتشن حملتها الصليبية دون مقاومة أو وجود فاعل!!

العقدة الصليبية هل يمكن حلها:

رفضت الخرطوم خطاب التهديد ولغة الوعيد بسحب قرارها القاضي بطرد السفير (بيتر ستريمز)، وذكرت إذاعة الخرطوم أن انتظار لندن رداً سودانياً بالتراجع عن هذا القرار «مضيعة للوقت»، وأن السودان صبر طويلاً على ممارسات السفير والتصرفات غير المقبولة منه.. في الوقت نفسه كان الأسقف الانجليكاني جورج كيري يكشف عن العقدة الصليبية التي تحكم

العلاقة الغربية بالعالم الإسلامي حينما اجتمع بقيادة الفصائل الصليبية الجنوبية وعضهم على تناسي خلافاتهم وتوحيد جهودهم (ضد من!) ووصف الانشقاق بين الفصيلين الرئيسيين للحركة الصليبية في الجنوب بأنه مأساوي!! ووصف هذا الرمز الصليبي زعيم عصابات النهب والقتل في الجنوب بأنهما من المدافعين عن الجنوب أي: أن هناك جهات أخرى لم يحددها تشارك في عملية الدفاع الحضارية التاريخية هذه، لقد تساءل وزير خارجية السودان في اليوم التالي لإطلاق الزعيم الديني تصريحاته الذي يُفترض أن يدع السياسة لأصحابها لأن معتقده يدعو إلى ترك ما لقيصر لقيصر وما لله لله قائلاً: هل كانت الحكومة البريطانية لتسمح لزعيم إسلامي بزيارة بلفاست (عاصمة إقليم إيرلندا الشمالية)» للتحديث مع زعماء الجيش الجمهوري الإيرلندي؟

بالطبع الإجابة معروفة خصوصاً مع معطيات المناخ العالمي المتحضر لتشويه صورة الإسلام والمسلمين في أصقاع الأرض. إن زيارة الأسقف الانجليزي يجب أن توضع في إطار أعم وأفق أرحب فبريطانيا التي أقامت الدنيا قبل قرن من الزمان بعد أن قتل ثوار المهدي جنرالهم العتيد جوردن كانت تنظر إلى السودان نظرة عقائدية دينية بالدرجة الأولى حيث أن المصالح الاقتصادية لم تكن هي الأهم، لذا فإن كنيسة انجلترا هي التي رسمت خطوط حملة كتشنر الثأرية لتحويل السودان إلى دولة مسيحية بالكامل.. يقول الصديق محمد الأمين في تعليقه على العلاقة والحدث: «لقد أشرفت تلك الكنيسة على حملة كتشنر ووضعت أسس التعليم عموماً والتعليم العالي خصوصاً في السودان غير تأسيس كلية جوردن. ولا يزال بعض وثائق الكنيسة الانكليزية الصادرة حديثاً جداً يتحدث عن أن السودان دولة مسيحية استولى عليها المسلمون» راجع كتيب اضطهاد المسيحيين في السودان الصادر باللغة الانكليزية عن جمعية الاخاء المسيحي مع السودان في تشرين الثاني/ نوفمبر 93). طبعاً لم ينجح مشروع تنصير السودان، وظل إحساس كنيسة انجلترا بأنها راعية المسيحيين في السودان على رغم أن معظم هؤلاء لا يدينون بالانجليكانية.

لكن ذلك لا يفسر سر الارتباط الخاص بالسودان لدى الدوائر المعنية به في بريطانيا. ومع ذلك ظل السودان مصدراً للمفاجآت غير السارة لأصحاب تلك النظرية، ولعل أولى المفاجآت تمثلت في رفض البرلمان السوداني. غداة الاستقلال الانضمام إلى رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) وأخرها حادثة طرد السفير بيتر ستريمز، وبين الحدثين عناوين كثيرة أبرزها إلغاء القوانين الانكليزية التي كانت تحكم السودان حتى عام 83 وابدالها بقوانين مستمدة من الشريعة الإسلامية، وتعريب الدراسة في الجامعات العام 91 وغيرها...

إن بريطانيا في هذا السياق لا تتحمل استقلالاً سودانياً إذا كان خارج الإطار المرسوم، لاسيما إذا ذكرها بالمقاومة الإسلامية وبشعارات مقاومة المهديّة، أما اللاهثون وراء تجربتها التغريبية فلها معهم شأن آخر. ربما عبر الكاتب (جراهام توماس) عن إحساس أصحاب النظرية المشار إليها في كتابه: (السودان: موت حلم).

على أن السودان الحلم البريطاني ليس هو السودان الذي ينتهج «ديموقراطية وست منستر» كما يتوقع ويفهم من تصريحات المسؤولين البريطانيين. والدليل على هذا أن بريطانيا لم تُبدِ أي اهتمام خاص بالتجربة التعددية الأخيرة في السودان (فترة الصادق المهدي) ولم تقدم لها أي دعم حتى ولو على المستوى السياسي، مع أن تلك التجربة التزمت قواعد الديموقراطية الغربية في حدود خبرتها الاجتماعية. وعلى العكس من ذلك كانت كل الإشارات الصادرة من لندن وقتها تجاه الخرطوم سالبة منها:

الغاء رئيسة الحكومة آنذاك مارجريت تاتشر زيارة معلنة إلى السودان من دون ذكر أسباب مفهومة للسودانيين وقتها، في حين أن السودان كان الدولة الوحيدة في أفريقيا التي تتبع الديموقراطية الغربية.. والمفارقة أن تاتشر كانت في جولة أفريقية زارت فيها بعض دول الجوار السوداني. وكان للأمر دلالة التي أغضبت المسؤولين السودانيين إلى درجة التفكير في سحب السفير السوداني في لندن تعبيراً عن الاحتجاج.

لم تكن توجهات السيد الصادق المهدي رئيس الوزراء السوداني آنذاك محل ترحيب أو ارتياح في العواصم الغربية وخصوصاً لندن، لا سيما حديثه عن «نهج الصحة الإسلامية» أو علاقاته القوية بطهران وطرابلس الغرب في الوقت الذي كانت المواجهة بينهما ولندن على أشدها. فيما كانت حركة التمرد المسلحة في الجنوب تحظى بتعاطف واضح على مستويات التسليح والإعلام والسياسة على رغم أن توجهاتهما المعلنة كانت ماركسية!!

رد الفعل البريطاني على حادثة فندق الاكربول في عام 1988 في الخرطوم التي قتل فيها رعايا بريطانيون على أيدي فلسطينيين. فقد تبنت بريطانيا داخل المجموعة الأوربية الدعوة لتشديد الاجراءات في حق القادمين من السودان وحملة جوازاته، بذريعة انه صار مؤثلاً لكثير من الارهابيين في المنطقة.

اذن كل الخلافات البريطانية مع الحكومة الحالية في السودان تعود جذورها إلى العهد التعددي الحزبي السابق، وحدث لها مزيد من التفرع والامتداد. ومما فاقم تلك الخلافات أن المحكمة السودانية التي نظرت قضية المتهمين في حادثة فندق الاكربول، وجدت نفسها أمام واقعة فريدة، إذ رفض أولياء الضحايا (الذين تمت استشارتهم بحسب قواعد الشريعة الإسلامية) القصاص من المتهمين أو العفو عنهم أو قبول الدية، وتلك هي الخيارات الوحيدة المتاحة لعقوبة القتل في الشريعة، وطالبوا بأن يحاكم المتهمون وفقاً

للقانون الانكليزي وهو ما لم يكن ممكناً أو مقبولاً. وعندها اتخذت الحكومة البريطانية قراراً بوقف دعم الحكومة السودانية حتى في المجالات الثقافية. اذن لم يكن ينقص سوى زيارة كبير الأساقفة المثيرة إلى اجزاء من السودان يسيطر عليها المتمردون من دون موافقة الحكومة السودانية، ودعوته لاجراءات دولية ضد السودان لتكون الشرارة التي تشعل غضب حكومة الخرطوم اضافة إلى أنها تقول انها رصدت تجاوزات عدة وانشطة غير مقبولة للسفير البريطاني الذي تم طرده.

والخلاصة من هذا الرأي الذي يبين بوضوح العقدة الصليبية في التعامل مع الشأن السوداني واحتقار استقلاله وحضارته وقضائه إذا كان مستمداً من جذوره الإسلامية وعروقه العربية.

لقد تتالت الأحداث في الأسبوعين التاليين إقليمياً ودولياً لترسخ من تأكيد النظره الصليبية في تعاملها مع أحداث القرن الأفريقي، فأسياس أفورقي رئيس الكيان الأرتيري الجديد وصاحب العلاقة الوطيدة باليهود، والذي أحسن إليه السودان كثيراً حتى قبل وصوله للحكم أسفر عن وجهه الصليبي البشع حينما هاجم بعد أيام من زيارة الأسقف البريطاني جاره السوداني، واتهمه بأنه معبر للأصوليين الذين هاجموا قوات مليشياته الحكومية، وأجمع المراقبون على أن المذكور يريد أن يحسن من صورته في الغرب كحارس صليبي آخر يقف أمام المد الأصولي! حتى ولو كان جاره الذي أحسن إليه بالأمس، وهو الذي يواجه حرباً أهلية داخل أرتيريا نتيجة لسياساته المتغطرسية وديكتاتوريته المتعجرفة وحره الشعواء على الوجود الإسلامي شعباً وحضارة في أرتيريا..

وكان العقدة الصليبية تصر على أن تقدم دليلاً آخرًا عن أن الحكومة السودانية في محاولتها استقطاب النصارى «والتميع» في تعاملهم معها، كما حصل في زيارة (البابا)، إنما تزيد من خلال هذه الممارسات حقد هؤلاء لها في الصدور وحقدًا مترجمًا إلى مواقف كما حصل في استقالة نائب رئيس البرلمان السوداني (الدو أجو دينغ) الذي طلب اللجوء السياسي لبريطانيا (هل تتصورون ملاذًا كثيرًا أمنًا من الأم الصليبية الحنون) واستقال من منصبه لأنه عجز عن التأثير في سياسة الحكومة تجاه الجنوب!!

وكان وظيفة هؤلاء حتى في المواقع الرسمية النظر للسودان من خلال قضية سكانه النصارى فقط. إن تلك الحوادث تؤكد أهمية التعامل مع أعدائنا من خلال القواعد الشرعية والتأصيل العقدي الذي يستند إلى آيات الذكر الحكيم الذي أبان عن حقد هؤلاء وكرههم لهذا الدين مهما قدم المتنازلون من تنازلات ومهما أقيمت لرموزهم من مهرجانات أو زيارات!! فرصيد الحقد لا يطفئه منصب أو تنازل، لأنك متهم حتى آخر قطرة من دمك بأنك الآخر / المرعب.. وقد أحسن روبرت فيسك تلخيص هذه النظرية لك أيها المسلم (المفّرط أو المفّرط) بأنها محكومة بثلاث عناصر: سوء نية.. وسوء فهم.. واتهامات جاهزة!! ويبقى صوت الحق من قبل ومن بعد.. (وود

كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق..)).
 لقد أشار إلى هذه العقدة الأستاذ سيد قطب رحمه الله حينما قال في تفسيره لهذه الآية: «إنها العقدة الدائمة التي نرى مصداقها في كل زمان ومكان، انها هي العقيدة، هذه حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة».
 نعم في كل وقت وبكل جهد وبشتى الأساليب.. هذا ديدنهم أما ديدتنا فهو أن نصبر ونصابر ونرابط ونكشف حجم العقدة الصليبية التي أقامت الدنيا وأقعدتها، وحاصرت شعباً وجوعته لطرده لسفير خرق الأعراف الدبلوماسية.. أما هتك الأعراس من صبرا وشاتيلا إلى البوسنة إلى أحراش جنوب السودان بل إلى روابي الأرض المباركة حول الأقصى بوابل الرصاص اليهودي النصراني فإنها مسألة فيها نظر... حقاً طرد سفير: جريمة لا تغتفر، وسحق أمة وانتهاك كرامتها مسألة فيها نظر!.

المسلمون والعالم

هذا هو الحل لقضية مسلمي مورو*

محمد شفيق

إن مسلمي مورو الذين ذاقوا وعاشوا ألواناً من الظلم والاضطهاد وعمليات الإفناء المنظم المدبرة ضدهم في ظل الحكومة الفلبينية الصليبية التي ضمت بلادهم إليها ظلماً وغدراً وطغياناً قد فقدوا الأمل في جميع الأساليب والحلول السلمية والسياسية لحل مشكلتهم منذ عام 1975م، أي منذ ثمانية عشر عاماً.

ازدياد الأوضاع سوءاً:

ازدادت أوضاع مسلمي مورو سوءاً بعد المحاولات لإيجاد حلول سياسية سليمة لمشكلتهم، وبعد اتفاقية طرابلس عام 1976 التي نصت على منح المسلمين الحكم الذاتي في 13 محافظة وتوسع مدن، لكن الحكومة الفلبينية الصليبية لم تلتزم بها، بل انتهزت فرصة الهدوء النسبي بعد وقف إطلاق النار المترتب على الاتفاقية لوضع خطة لمضاعفة قبضتها وسيطرتها على المسلمين ووزعت جنودها على الأماكن الاستراتيجية في المناطق الإسلامية؛ مما جعل تحركات المسلمين أمراً صعباً حيث أقيمت مئات من مراكز التفتيش على طرقهم كما انتهزت الحكومة الصليبية الفرصة لتهجير مزيد من النصارى إلى بلاد المسلمين، وإقامة مستوطنات لهؤلاء فيها. وباختصار كانت نتائج المبادرات والحلول السياسية السليمة ما يلي:

- 1- بدلاً من استرجاع المسلمين بعض أراضهم المغتصبة فقدوا المزيد منها.
- 2- بدلاً من استعادة المسلمين بعض حقوقهم السياسية والاجتماعية المسلوقة فقدوا المزيد من هذه الحقوق.

- 3- بدلاً من وقف إقامة المستوطنات الصليبية في بلاد المسلمين ازدادت هذه المستوطنات.
 - 4- بدلاً من فك القمع والقبضة الحديدية على المسلمين ازداد القمع والقهر عليهم.
 - 5- بدلاً من إرجاع المسلمين المشردين إلى أرضهم ازداد عدد المشردين.
 - 6- بدلاً من وقف حرق بيوت المسلمين ومساجدهم ومدارسهم ازداد عدد المحروق منها.
 - 7- بدلاً من إيجاد حلول لمشكلة الفقر والمشكلات الاجتماعية الأخرى ازداد الفقر وتضاعفت المشكلات الاجتماعية.
- وما ذكر ليس حصراً لجميع النتائج السلبية للحلول السياسية السلمية لقضية مسلمي مورو، وإنما هو صور منها، وأسوأ نتيجة لها إضعاف الروح المعنوية لدى المسلمين وإضعاف الروح الجهادية في قلوبهم؛ لأن النتيجة الحتمية للحلول السياسية السلمية هي هزيمة الروح وكرال الهمة وإضعاف الإرادة القتالية وهي أسوأ أنواع الهزيمة، فالهزيمة العسكرية لا تكون هزيمة حقيقية ما لم تتبعها هزيمة الروح المعنوية.
- وأقول لكم بكل صراحة وبكل إيمان وصدق إنه: لولا فضل الله على المسلمين هنا في بلادنا، ثم الجهود المتواضعة التي بذلناها لمحو الهزيمة الروحية التي أدت إليها الحلول السياسية السلمية، وإعادة الروح الجهادية إلى نفوس المسلمين لحلت بهم الهزيمة المعنوية بسبب الحلول السياسية السلمية.

الحلول السياسية السلمية طرقت الأبواب:

إن المشكلة كل المشكلة أن الحلول السياسية السلمية التي تركت نتائج سلبية كثيرة لدى المسلمين جاءت مرة أخرى وطرقت الأبواب المغلقة، لقد دعونا المسلمين إلى النفي العام والجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته والاستماتة لنصرة دين الله، واستجاب المسلمون لدعوتنا وأعدوا العدة وجهزوا أنفسهم ووقفوا صفاً واحداً كالبنين المرصوص، وكانوا قاب قوسين أو أدنى من الهجوم على العدو الذي احتل البلاد هجمة رجل واحد، ولكنهم فوجئوا بإعلان المفاوضات السلمية بين مندوبي حكومة الفلبين وجبهة مسواري الوطنية في أندونيسيا حيث استؤنفت هذه المفاوضات مرة أخرى بعد أن فشلت عشرات المرات خلال جولاتها التي استمرت ثمانية عشر عاماً، وتركت أثراً سيئاً في مجتمع مورو الإسلامي.

لقد تفاوضت جبهة مسواري مع مندوبي حكومة الفلبين سراً في ليبيا العام الماضي (بواسطة العقيد معمر القذافي) واستمرت الاتصالات بين جبهة مسواري وحكومة الفلبين إلى أن أعلنوا نقل المفاوضات إلى أندونيسيا مؤخراً ثم عقدت المفاوضات الرسمية بين الجانبين في جاكرتا باندونيسيا مؤخراً، ولم تتوصل المحادثات إلى أي شيء لصالح قضية المسلمين المظلومين والمضطهدين.

وقد علمنا من مصادر موثوقة أن حكومة العدو راموس الصليبية تحاول أن تقنع جبهة مسواري بالاستسلام المشرف حسب تعبيرهم وهو أن يتخلى (مسواري) عن قضيته مقابل منصب حكومي، كما يسند إلى زملائه أيضاً بعض المناصب الحكومية الزائفة الزائلة مقابل تخليهم عن قضيتهم، هذا ما وصلت إليه المفاوضات الأخيرة في جاكرتا، وما زالوا يبحثون عن الحلول لمشكلة المناصب وكيف تعطيههم الحكومة الفلبينية المناصب في بلاد المسلمين التي وقعت تحت سيطرة الفلبين ومعظم حكامها من الصليبيين والمنافقين. هل القضية قضية مناصب حكومية أم قضية حزب أو جماعة قليلة من الناس؟ لا إنما هي قضية شعب مسلم أصيل بلغ تعداده 12 مليون نسمة وضمت بلاده إلى دولة صليبية تحكمه بالحديد والنار وتكيد له بكل أنواع الكيد وتحاول القضاء عليه.

الجهاد هو الحل:

إن الحل الصحيح لمشكلة مسلمي مورو وجميع مشاكل المسلمين تحت احتلال الكفار هو الجهاد في سبيل الله، وأي محاولة لحل المشكلة مهما كانت جادة وصادقة في ظاهرها ما لم تتضمن دعم الجهاد أو تشجيع المجاهدين هي محاولة فارغة لا تساهم في العمل على تخليص المسلمين من السيطرة الصليبية الاستعمارية.

لذلك اتفقت جماهير مسلمي مورو وعلمائهم ودعاتهم وأساتذتهم ومعلمو القرآن الكريم منهم وقراءهم وعامتهم على أن يجاهدوا في سبيل الله لإعلاء كلمته ونصر دينه، فهم يدركون معنى قوله تعالى: ((إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً))، وقوله جل شأنه: ((وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم))، وقد استجابوا لأمر الله حيث قال: ((انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)).

ونحن حين نجاهد أعداء الإسلام الذين استولوا على بلادنا نستنصركم في الدين بأموالكم أو نفوذكم ومساعدتكم الحميدة لدى المحسنين من أغنياء الأمة الإسلامية، أو بأفكاركم وتدبيركم وخاصة في المجالات الإعلامية، أو بدعواتكم إلى الله لنا ولجميع المجاهدين الصادقين في بقاع الأرض بالنصر والتمكين لإقامة حكم الله.

ونأمل أن تشجعوا ضعاف الإيمان والنفوس منا على الجهاد، وكذلك المهزومين نفسياً، وإن لم تستطيعوا أن تشجعوهم على الجهاد فعلى الأقل لا تشجعوهم على الاستسلام بواسطة المفاوضات السلمية وقبول عروض العدو من المناصب والأموال مقابل التخلي عن القضية.

حي على الجهاد:

لقد استيقظت جماهير مسلمي مورو الآن، والذين عاهدوا الله على أن يجاهدوا في سبيله لإعلاء كلمته ونصرة دينه، وسيمضون في جهادهم إن شاء الله في نصب وشقاء وحرمان وتضحية واحتمال كل مشقة ومجاعة

ولا يطلبون جزاءً في هذه الأرض، وإنهم ينتظرون الآخرة وحدها موعداً للجزاء إن شاء الله وإذا انتصروا فذلك من فضل الله على المؤمنين وعلى الأمة الإسلامية كافة، وإذا استشهدوا فذلك أسمى أمانيتهم، لذلك كان شعارهم: إما النصر أو الشهادة..
 وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

ومن البيان رقم (32) لجبهة تحرير مورو الإسلامية نقتطف ما يلي:

تقوم حكومة راموس الصليبية بمؤامرة خطيرة جداً ضد مسلمي مورو وتستخدم سياسة مزدوجة بغية الوصول إلى هدفها المنشود وهو القضاء على المسلمين الذين تعتبرهم عدوها الأول قبل الشيوعيين وغيرهم. ذلك أن هذه الحكومة الصليبية التي استخدمت ومازالت تستخدم جميع صنوف الكيد ضد المسلمين تتفاوض مع جبهة (مسواري) الوطنية في محافظة سولو مسقط رأس مسواري زعيم الجبهة الوطنية التي تفاوضها حكومة الفلبين علماً بأن هذه الجبهة ليس لها قاعدة شعبية وليس لها جناح عسكري منظم. وفي الوقت ذاته تشن قواتها المسلحة حملات عسكرية ضد المسلمين الأمنيين العزل من السلاح، وضد جبهة تحرير مورو الإسلامية بقيادة أمير المجاهدين الشيخ/ سلامات هاشم، وقد أعلن راموس رسمياً أن هذه الجبهة ليست داخلية في الاتفاق على وقف إطلاق النار الذي توصلت إليه المفاوضات بين الصليبيين ومن فاضهم.

الهوامش:
 (*) بتصرف

المسلمون والعالم

المسلمون في بلغاريا بين الاستئصال والبقاء

د. عبد الله البراهيم

مقدمة:

بلغاريا هي إحدى دول شبه جزيرة البلقان التي تشكل جزءاً من القارة الأوروبية يخترق البحر الأبيض المتوسط في ناحيته الشرقية كما تخترقه شبه الجزيرة الإيطالية في وسطه وشبه الجزيرة الأيبيرية (أسبانيا والبرتغال) في غربه.

وقد دخل الإسلام إلى أوروبا من عدة محاور، كان أقدمها من جنوبها الغربي عبر الأندلس في القرن الأول الهجري، ومن جنوبها عبر صقلية وإيطاليا في القرن الثالث، وتغلغل في شمالها الشرقي حول نهر الفولجا وبين جبال

الأورال وبحر قزوين فيما كان يعرف بروسيا الأوروبية، ثم عبر المسلمون إلى شبه جزيرة البلقان منطلقين من تركيا إبان الفتح العثماني في القرن الثامن الهجري واتجهوا شمالاً حتى المجر والنمسا. (1)

نبذة تاريخية:

البلغار إحدى الأمم السلافية التي كانت تعيش في منطقة الأورال بالاتحاد السوفيتي سابقاً وفي حوض نهر الفولجا، وقد عبرت إلى شبه جزيرة البلقان في القرن السابع الميلادي، ثم اتجهت جنوباً قاطعة نهر الدانوب لتستقر فيما يعرف حالياً ببلغاريا، وتأسست المملكة البلغارية الأولى في الفترة (675-1018م) والمملكة الثانية من 1187 حتى 1393م حيث سقطت أمام جيش الفتح العثماني لتبقى قرابة خمسة قرون تحت الحكم الإسلامي. وكان العثمانيون قد عبروا آسيا الصغرى (تركيا حالياً) إلى أوروبا عام 1345م وجعلوا من (أدرنة) عاصمتهم الأولى في أوروبا عام 1360م ثم اتجهوا شمالاً ليفتحوا مدينة تورنوفو (شمال بلغاريا) عام 1393م وكانت العاصمة آنذاك، ثم وصلوا عام 1396م إلى فايدن (شمال غرب بلغاريا) ثم اتجهوا غرباً لينتصروا على الصرب 1389م، ثم توسعوا في أوروبا، فاتجهوا شمالاً قاطعين نهر الدانوب؛ ليفتحوا رومانيا وجنوب بولندا ومعظم المجر وأجزاء من النمسا في نهاية القرن السابع عشر الميلادي.

وفي 2 ابريل 1877م أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية مدعية أن لها الحق في حماية المسيحيين الأرثوذكس البلغار الذين كانوا يعيشون في ظل الدولة العثمانية (تشارك روسيا مع البلغار في الأصل السلافي وفي الديانة الأرثوذكسية).

ويدعي الكتاب الغربيون (2) أن البلغار آنذاك قد تعرضوا لمذابح عام 1876م حيث قتل العثمانيون كما يزعمون الآلاف من الرجال والنساء والأطفال، وأحرقوا القرى والمدن، وبهذه الحجة عبر الجيش الروسي نهر الدانوب جنوباً، حيث هزم الجيش العثماني بمساعدة آلاف البلغار المتطوعين وامتد الزحف حتى مشارف إسطنبول، وتدخلت بريطانيا خوفاً من استقلال بلغاريا مما قد يؤدي إلى تقوية نفوذ روسيا في المنطقة، وتم توقيع معاهدة برلين عام 1878م التي انسحب بموجبها الجيش الروسي، وقسمت بلغاريا إلى خمسة أقسام أعيد بعضها للسلطان العثماني، وأعطى غربها لصربيا، وسلمت البوسنة والهرسك للمجر والنمسا (لإدارتها)، وبعد إلغاء الخلافة الإسلامية عام 1908م أعلنت بلغاريا استقلالها في العام نفسه، ثم خاضت الحربين العالميتين حليفة لألمانيا، وفي عام 1946م آلت الأمور إلى الشيوعيين وكان آخر رئيس للجنة المركزية للحزب الشيوعي هو زيفكوف الذي حكم البلاد من 1979م حتى أسقط في 10 نوفمبر 1989م.

بلغاريا اليوم:

وتتكون بلغاريا حالياً من 28 مقاطعة، ويحدها من الشمال رومانيا ومن الغرب ما يعرف الآن بصربيا، ومن الجنوب الشرقي تركيا، ومن الجنوب

اليونان ومن الشرق البحر الأسود، وأهم مدنها: بلوفديف، فارنا، روسي بوجاس، ستارا زاجورا، بليفن، وعاصمتها صوفيا في الغرب. ومن المنتجات الزراعية في بلغاريا الحبوب والفواكه والخضروات، كما تصدر الأغنام والدواجن والأجبان وعطر الورد والزيوت النباتية وبعض المنتجات المعدنية، وتنتج الفحم والغاز الطبيعي.

يتبع البلغار الأمم السلافية (كالروس والصرب) ويتحدثون اللغة البلغارية (وتشبه اللغة الروسية والصربية والبولندية) وهي لهجة من اللغة السلافية القديمة، كما يستخدمون الأبجدية الكريلية، وهي الأبجدية نفسها المستخدمة في روسيا وفي جمهوريات الاتحاد السوفياتي سابقاً.

يبلغ عدد السكان (حسب احصائية 1989م) قرابة تسعة ملايين (3) يشكل البلغار الأرثوذكس 78% منهم والمسلمون 22% (قرابة 2 مليون)، ويوجد بعض اليهود والأرمن واليونانيين.

مناطق المسلمين:

ينقسم المسلمون في بلغاريا من حيث الأصل العرقي إلى خمسة أقسام:

1- مسلمون من أصل تركي، ويبلغ عددهم مليون مسلم تقريباً، يتوزعون على مناطق عدة في شرق وشمال شرق بلغاريا (روسي تشومن بوجاس) وفي جبال رودوب جنوب بلغاريا، وقرب الحدود التركية ويتحدثون اللغة التركية والبلغارية معاً.

2- مسلمون من أصل بلغاري (البوماك) وقد أسلموا في القرن السابع عشر الميلادي (3)، ويصل عددهم إلى سبعمائة ألف يعيشون في المناطق الجبلية كجبال رودب وقرب بليفن ولوفك.

3- مسلمون غجر ويشكلون ثلاثة أرباع الغجر في بلغاريا (والباقي مسيحيون) ويبلغ عددهم قرابة أربعمائة ألف، وإجمالي عدد الغجر (576.927) حسب احصائية 1989م، ويتحدث بعضهم اللغة التركية، وبعضهم اللغة البلغارية، ويتركزون في صوفيا بلوفديف سليفن فايدن لور بيتريك أرمشار دونا فتسي رازلوج فارنا وبازارجيك.

4- مسلمون من أصل مقدوني (ومقدونيا موزعة حالياً بين شمال اليونان ويوغسلافيا السابقة).

5- مسلمون من أصل تتر، وهم من التتر الذي فروا بدينهم إبان اضطهاد روسيا القيصرية لهم عام 1860م، وعددهم قرابة خمسة عشر ألفاً يتوزعون على قرى قليلة في شمال شرق بلغاريا على ساحل البحر الأسود مثل بالكيك وكافارنا.

وبالإضافة إلى ذلك توجد جالية عربية يصل عددها إلى خمسة آلاف شخص تقريباً ويتركز معظمهم في العاصمة صوفيا.

معاناة المسلمين في بلغاريا:

عانى المسلمون في بلغاريا من الإرث التاريخي للصراعات الدامية التي جرت في البلقان، وينسى النصارى تماماً المذابح فيما بينهم بينما لا

ينسون أي حادث جرى عليهم من المسلمين، فتقوم قائمتهم وينادي مناديتهم، ومن أهم الحوادث التي جرت على النصارى في المنطقة أحداث عام 1876م حيث يتهم الكتاب الغربيون الحكام المعينين من قبل الدولة العثمانية في بلغاريا بارتكاب مذابح راح ضحيتها (عشرات الآلاف) من سكان السفوح الشمالية لجبال رودوب، وعذب الآلاف واعتدي على النساء وازدحمت المدن الكبيرة بالآلاف المهاجرين الذين تعرضوا لمجاعة في ذلك الوقت (5)، وسواء أصحت هذه الأخبار أم لم تصح فإن الحقد على المسلمين ومعاناة المسلمين من التعصب الديني في دول البلقان أمر لا يختلف عليه اثنان. وإبان الحكم الشيوعي مارست السلطات أقصى أنواع الحرمان للمسلمين من حق ممارسة شعائر دينهم، فأغلقت المساجد (وكان عددها 1200) وهدمت بعضها، ومنعت المسلمين من ممارسة أركان الإسلام كالصوم والزكاة، كما منعت ختان الأطفال (6) بحجة أنه (تدخل إجرامي ضد صحة الأطفال) (7) ومنعت دخول المصاحف والكتب الدينية لبلغاريا، وألغت المدارس الدينية ومنعت تدريس اللغة التركية، وهجرت المسلمين إلى مناطق شبه معزولة ومنعتهم من الاحتفال بأعيادهم.

في عام 1947-1948م جرى تنصير ما يقارب (150.000) بلغاري مسلم، وبدأت حملة لتغيير أسماء المسلمين إلى أسماء سلافية عام 1948م ثم حملة أخرى في الستينات، وفي 1971م بعد المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي بدأت حملة أخرى لتغيير أسماء البوماك، وحملة لتغيير أسماء المسلمين الغجر حيث غيرت أسماء ما يقرب من أربعمئة ألف مسلم غجري.. وفي أواخر 1984م وأوائل 1985م بدأت الحكومة حملة عنيفة لإرغام المسلمين الأتراك على تغيير أسمائهم، حيث أحيطت القرى ذات الأغلبية التركية بالقوات من الصباح الباكر، وأرغم المسلمون تحت تهديد السلاح بقبول الهويات الجديدة ذات الأسماء السلافية، وتم قتل ما يقرب من 300-1500 مسلم لأنهم رفضوا ذلك وسجن وجرح الآلاف (8). وقام المسلمون الأتراك في أواخر مايو 1989م بمظاهرات سلمية في شمال شرق وجنوب شرق بلغاريا مطالبين بإعادة أسمائهم الحقيقية، وشارك فيها آلاف من المسلمين، وردت السلطات الشيوعية بعنف إذ استخدمت الكلاب البوليسية والقنابل الدخانية والدبابات والحوامات، وراح ضحية تلك الأحداث عدد كبير من المسلمين وطرد الآلاف على إثرها من بلغاريا حتى الذين لم يتظاهروا خصوصاً من كانوا يحملون الدرجات العلمية كالأطباء والأساتذة والاقتصاديين والمهندسين. قال رجل شرطة يومها لأحد المسلمين: «أنت لغتك مختلفة ودينك مختلف وكنت ترغب دوماً في الذهاب لتركيا فاذهب لها الآن!».

وتم بذلك إرغام أكثر من ثلاثمئة ألف مسلم بلغاري من أصل تركي على ترك أراضيهم وبلادهم في فترة أقل من خمسة أشهر، ليشكل ذلك واحدة من أكبر الهجرات التي عرفتها أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية.

أما الغجر المسلمون فيعانون من التمييز والاحتقار، ويسكنون في مجمعات سكنية مزدحمة جداً وفي أحياء خاصة بهم في ضواحي المدن في بيوت أكثرها مبني من الألواح الخشبية، وتعيش غالباً أسرتان أو أكثر في الوقت نفسه، وتفتقر أحياء الغجر إلى الخدمات الأساسية كالماء والصرف الصحي أو دورات المياه.. ففي (فايدن) مثلاً يوجد (6000) غجري اضطروا لحفر الآبار لعدم توصيل المياه لهم، كما لا يوجد الهاتف إلا في خمسة بيوت من أصل (1100) بيت، وقد صدر قرار عام 1962م يقضي بعدم اختلاط أبناء الغجر والبوماك المسلمين مع أبناء الأتراك، وأن لا يعين أساتذة من أصل تركي في مدارسهم، وأكثر من نصف الغجر أعمارهم أقل من 16 سنة، ولم يكمل الابتدائية إلا 30% من الغجر، وأكثر من نصف من هم فوق الثلاثين أميون (9) كما يحرمون من الرتب في الجيش، وتعهد إليهم الأعمال الشاقة والمهنية عند خدمتهم (وكذلك الأتراك)، وفي مدينة (بازارجك) يسكن حوالي (27.000) مسلم غجري في إحدى ضواحيها، وقد زرت ذلك الحي ولم أجد مسجداً واحداً، والمسلمون هناك يعرفون أنهم مسلمون فقط، وقليل منهم من يعرف أي شيء عن الإسلام، رأيت الأطفال فرحين يمرحون في ساحة مبنى جديد ذكروا لنا أنه جامع، وأخبرني المترجم أنه مبنى لكنيسة ستقوم في هذا الحي الذي لا يوجد فيه مسيحي واحد، وحالياً تتصارع الإرساليات التبشيرية على هذه (المادة الخام)، فأين المسلمون؟ وبماذا يقابلون ربهم ويجيبونه عن هذا التفريط!؟

واقع المسلمين في بلغاريا:

على الرغم من سقوط الشيوعية عام 1989م وانفتاح بلغاريا على العالم إلا أن الدستور الحالي الجديد يمنع تأسيس أحزاب على أساس عرقي أو ديني، ولذا لا يجد المسلمون من يمثلهم في البرلمان عدا (حركة الحقوق والحريات) وهي حركة أعلنت نفسها علمانية وتدافع عن حقوق الأقليات (ومن ضمنهم الأتراك) وفازت في انتخابات البرلمان في يونيو 1990م بـ (6.9%) من الأصوات، وفاز الحزب الاشتراكي البلغاري بـ 32.9% (الشيوعيون سابقاً) كما فاز اتحاد القوى الديمقراطية (المعارضة) بالأغلبية. وللمسلمين مفت أكبر (في الثلاثينات من عمره) ولهم مفتون في المناطق عددهم تسعة، والجميع أعضاء في المجلس الروحي (مجلس الشورى للمسلمين) ويوجد معهد إسلامي في صوفيا، وتوجد حالياً ثلاث مدارس بها تعليم ديني: واحدة في روسي شمال شرق بلغاريا، وأخرى في تشومن شمال بلغاريا، وثالثة في كارجيلي في الجنوب الشرقي، وتشرف على هذه المدارس دار الإفتاء في بلغاريا، وهذه المدارس هي مباني أوقاف سابقة استطاع المسلمون استردادها، وهي غالباً للمسلمين من أصل تركي (ولكن لا يمنع المسلمون الآخرون من الالتحاق بها)، واهتم بها الأتراك للحفاظ على هويتهم القومية! والتعليم الديني لأبنائهم، ولا توجد مدارس ذات

طابع ديني في مناطق البوماك أو الغجر، علماً أن البوماك أكثر حفاظاً والتزاماً بالدين من القوميات الأخرى. وتشهد المساجد عودة طيبة ولله الحمد إلى الإسلام حيث تمتلئ بالمصلين في صلاة الجمعة، وبدأ المسلمون في أكثر المناطق المسلمة بفتح حلقات تحفيظ القرآن خصوصاً للأطفال.

احتياجات المسلمين في بلغاريا:

ما يحتاجه المسلمون حالياً في بلغاريا هو معرفة دينهم، ويساعد على تحقيق ذلك ما يلي:

* بناء المساجد والمساعدة على تعيين الأئمة والدعاة المختصين بالعلم الشرعي.

* إرسال بعثات من أبناء المسلمين البلغار إلى الدول الإسلامية للدراسة فيها.

* تأسيس المدارس الإسلامية لتبصير أبناء المسلمين بأمر دينهم.

* طباعة الكتب الإسلامية باللغة البلغارية التي يفهمها المتحدثون باللغة الروسية أيضاً، وعسى أن تترجم بعض الكتيبات والرسائل الصغيرة في العقيدة والعبادات والآداب والأخلاق.

ويعاني بعض المسلمين (وخصوصاً الغجر) من الفقر ويحتاجون للكساء والفحم في الشتاء، مما يلزم عناية الجهات الخيرية بمدّهم بهذه المعونات لسد احتياجاتهم الماسة، حتى لا تكون هيئات التنصير أقرب لهم من إخوانهم مما يحملهم على ترك الإسلام مادام المسلمون لا يحملون همهم.

الجهود الحالية:

توجد في بلغاريا حالياً عدة جمعيات خيرية هي:

- هيئة الإغاثة الإسلامية.

- جمعية الوقف الإسلامي.

- هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.

وقد قدمت الهيئة الأولى أعمالاً بسيطة، وقامت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ببناء بعض المساجد وكفالة عدد من الأيتام، وأقامت دورة للدعاة والأئمة، كما قامت مؤخراً بتقديم مساعدات مادية مقطوعة اقتصرت على الطالبات في مدرسة روسي.

وتكفل جمعية الوقف الإسلامي بعض الدعاة والأئمة في بلغاريا، وقدمت مساعدات إلى المدارس الإسلامية السابق ذكرها، كما اشترت مؤخراً مبنى من 4 طوابق في قرية (سارنيتسا) في مناطق البوماك المسلمين ليكون مدرسة وسكناً للطلاب يتم فيها تدريسهم أمور دينهم، كما يقوم بعض المحسنين ببناء المساجد وتقديم المعونات الإغاثية للمسلمين هناك.

وقد تم قبول 15 طالباً بلغارياً في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتسعة طلاب في كلية الشريعة بعمان الأردن.

هذا واقع المسلمين في بلغاريا وتلك احتياجاتهم، أدركوهم بالعون والمساعدة قبل أن تقضي عليهم الجهود الكبرى للتنصير.

(ألا هل بلغت... اللهم فاشهد).

الهوامش:

- (1) الأقليات المسلمة في أوروبا، سيد عبدالمجيد بكر، إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي، شوال 1405 هـ.
- (2) The Bulgaians , by Christ Anastasoff, Exposition Press, New York, 1977, P. 99
- (3) Cambridge Encyclopedia, 1992 .
- (4) حاضر العالم الإسلامي، لوزوب ستودارد، تعليق: شكيب أرسلان، ج3، ص 321، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1352 هـ.
- (5) ماكجان، صحيفة نيويورك وورلد، يوليو 1876 م.
- (6) مجلة المجتمع، العدد 1073، ص 38.
- (7) Bulgaria, by R. McIntyre, Pinter Publishers, London, 1988, p. 72
- (8) The Expulsion of the Bulgarian Turks, 1989
- (9) The Gypsies of Bulgaria, 1991

المسلمون والعالم

العالم الإسلامي في مرآة الصحافة

التحرير

أخي القارئ:

في هذه الزاوية سنحاول جاهدين اختيار مقتطفات من بعض التقارير والأخبار واللقطات في بعض الصحف السيارة، مما له مساس بواقع أمتنا الإسلامية، مع العلم أن ما يطرح في هذه الزاوية لا يعني بالضرورة الموافقة على ما جاء فيها بل يقصد منه بيان الرأي الآخر.

- البيان -

أضواء على جرينوفسكي:

هذا الزعيم الروسي الذي ظهر فجأة، وأقنع الناخبين الروس الذين يعيشون إحباطات وأوضاع لا يحسدون عليها بطروحاته الدعائية، أثار رعب الغرب والشرق، وهذه نبذة للتعريف به وبيان لتوجهاته.

ولد جرينوفسكي من أب يهودي عانى في طفولته من البؤس والتشرد وهاجر أقاربه إلى إسرائيل وكان قد عزم على السفر هناك عام 1983 م وكان يعمل ضابطاً احتياطياً برتبة نقيب في الـ «كي جي بي» وبعد ظهور نظام تعدد الأحزاب في الاتحاد السوفيتي سابقاً تم تأسيس حزبه (الليبرالي الديمقراطي) بناء على تعليمات الحزب الشيوعي السابق إلى الـ كي جي بي، حيث قال جورباتشوف آنذاك: «يجب أن نبادر بإنشاء حزب بديل شريطة أن نسيطر عليه»، فتم إنشاء ذلك الحزب.

ومن الملفت للنظر أنه يدعي أن 90% من أعضاء ذلك الحزب من اليهود، وفي الانتخابات الروسية الأخيرة تقدم هذا الحزب على غيره من الأحزاب، لما كان يرفعه من شعارات أحييت في الشعب الروسي أحلامه السابقة بعودة الامبراطورية الروسية، وقد كان جرينوفسكي ينادي خلال حملته الانتخابية بالأمور التالية:

* مكافحة الجريمة دون رحمة.

* العودة إلى روسيا العظمى التي تشمل أراضي في البلطيق وأوكرانيا وآسيا الوسطى.

* الدعوة إلى احتلال كل من تركيا وإيران والوصول إلى المياه الدافئة في الخليج!

* المناداة بأن يكون الروس وحدهم يمثلون 99% من الحكومة الجديدة. وفي ذلك إشارة إلى عدم قبول أي من الأجناس الأخرى في الحكومة ما عدا اليهود.

* إضافة إلى ذلك فقد كان يدعو إلى قيام وحدة اقتصادية وثقافية بين الدول السلافية وروسيا.

تميزت شخصية ذلك الزعيم بلامح واضحة أثرت في تعامله مع الآخرين، فمثلاً:

* في خلافه مع أعضاء البرلمان قال أن 10% من أعضاء البرلمان مجانيين.

* وحين رفضت السلطات الألمانية استقباله قال أنه يتوجب على ألمانيا دفع ثمن باهظ وستصبح بلداً فقيراً بعد احتلالها.

* وقال أيضاً أن رومانيا دولة مصطنعة وإنما تتألف من غجر إيطاليين.

* تناقضاته الكثيرة: فمرة ينفي أنه من أصل يهودي، وأخرى يصرح بأن أباه كان يهودياً ويعلن معاداته للسامية، ولكن في حين آخر ينفي ذلك أو يحصر معاداته في غير اليهود.

ومن المضحك أن يستبشر بعض أفراد اليسار العربي بظهور نجم ذلك المخلص المزعوم الذي يستطيع أن يقول للغرب «لا» بكل قوة.

البوسنة:

* أكد رئيس وزراء البوسنة حارث سيلاجيتش أن اللورد أوين يتهم الحكومة البوسنية بالإبقاء على الخيار العسكري في وقت يتم فيه تدمير مواقع مدنية، وأضاف: يبدو أن أوين وغيره لا يستطيعون قبول البوسنة إلا كضحية من دون موارد.

(الحياة 27/7/1414 هـ)

بدون تعليق:

حذر مساعد وزير الدفاع الأمريكي السابق ريتشارد بيرلي من أن يسود شعور بالاضطهاد لدى المسلمين في البوسنة، وقال: «إذا أردنا أن نشن حرباً على الأصولية والإرهاب، فإن مصداقيتنا تحتم علينا أن نُظهر أننا مهتمون بقضية المسلمين الذين أظهروا استعداداً للعيش بسلام مع غير المسلمين».

(الحياة 5/8/1414 هـ)

على الحبلين:

قدم السفير الأمريكي في اليمن صوراً من الأقمار الصناعية توضح تحركات قوات اليمن الشمالية والجنوبية على الحدود السابقة، وذلك إلى كل من الرئيس ونائبه.

(الأسوشيتدبرس 16/1/1994م)

تزكية من أبي عمار:

قال ياسر عرفات في مقابلة مع شبكة أنه يعتقد أن رئيس الوزراء إسحق رابين رجل يحترم وعوده.

(الحياة 3/7/1414 هـ)

أول الغيث:

ذكرت عائلات فلسطينية أن أعضاء من حركة فتح اشتركوا مع حرس إسرائيلي في مهاجمة سجناء فلسطينيين لآخاماد شغب في سجن كيتزيغوت.

(الحياة 17/7/1414 هـ)

موقف مشرف في ظل الانهزام العربي:

... من الصعب جداً التقليل من الخطورة التي انطوت عليها «زيارة» أسقف كاتربري في هذا الأسبوع إلى بعض المناطق التي لاتزال تحت سطوة المتمردين في جنوب السودان، وهي «الزيارة» التي لا يمكن أن تسمى «زيارة» إلا مجازاً فحسب، وإلا فإنها كانت أشبه بعمل من أعمال التسلل، ودخول البيوت من غير أبوابها، والدخول إلى أراضي الآخرين هكذا عنوة، من غير أدنى مراعاة لمشاعر الدولة التي تقع هذه الأراضي تحت سيادتها، قانونياً ودولياً ومن غير احترام حتى للشكليات الإجرائية البحتة.

التدخلات الانجليزية في شؤون السودان، في كل الفترة التي أعقبت الاستقلال السياسي الرسمي في سنة 1956م، تكاد تكون موضوع رواية كاملة مطولة، كثيرة الفصول، ولا يبدو أنها علي وشك الانقضاء، كما لا تبدو الآن حكاية أسقف كاتربري، التي تداخلت فجأة من الأسبوع الماضي وتشابكت مع حكايات تدخلات السفير البريطاني لدى الخرطوم في الشأن السوداني الداخلي، سوى مجرد آخر هذه الفصول المتلاحقة من 1956م.

الفارق الوحيد الآن بين هذا الفصل الأخير وفصول السنوات السابقة الطويلة، هو أن هذه هي المرة الأولى غير المسبوقة على الإطلاق من سنة 1956م، التي يسمع فيها سفير الدولة العظمى، المسيطرة على السودان سابقاً أن للسودان المستقل كبرياءه الوطنية أيضاً، وأن في مقدوره دائماً أن يطلب من أي ضيف أو غريب وافد مغادرة السودان، بسلامة الله وحفظه، إذا كان من العسير عليه مثلاً، لأي سبب نفسي أو عقلي، أن يحترم كبرياء الوطن السوداني ويتقيد على الأقل بالأعراف الدبلوماسية المعهودة والمرعية.

غي أن الانهزام العربي العام، الساحق جداً في هذه الساعة، هو وحده فقط الذي يجعل من أمثال هذه المواقف السودانية غير مفهومة وغير مألوفة بل غير معقولة وغير مقبولة في رأي عقلاء العرب في هذه الأيام، الذين أفرطوا في العقل جداً، وقد أوشكت الآن أن تقتلهم التخمة العقلانية المفرطة.
(حافظ الشيخ، جريدة الوطن 22/7/1414 هـ)

منظمة العفو الدولية وتونس:

ذكرت منظمة العفو الدولية في تقرير لها صدر في 1/8/1414 هـ «أن هناك هوة بين التصريحات الرسمية وحقيقة الإنتهاكات الخطيرة والمتكررة لهذه الحقوق»، وقالت المنظمة أن المؤسسات التي أنشئت أخيراً لحقوق الإنسان تنقصها الاستقلالية وتتميز بالعجز وبطابعها السري.

وذكر التقرير أن المنظمة تجري حواراً بلا طائل مع السلطات التي تستمر في نفي وجود انتهاكات لحقوق الإنسان وفي تبريرها.
(الشرق الأوسط 2/8/1414 هـ)

فضيحة: تزوير الأدلة ضد الإسلاميين:

تحولت قضية الوثائق التي ادعت أجهزة الأمن الفرنسية، العثور عليها في منزل رئيس منظمة «الأخوة الجزائرية» موسى كرواشي، إلى فضيحة عندما نشرت صحيفة (لوفيغارو) الفرنسية أن الوثائق التي عثر عليها يحتمل أن يكون مصدرها عناصر الشرطة أنفسهم، وعندما قرر وزير الداخلية الفرنسي شارك باسكوا فتح تحقيق بدأت الأجهزة الأمنية تتبادل التهم، فالاستخبارات اتهمت الشرطة القضائية أن أحد عناصرها وضع الوثائق عن طريق الخطأ ضمن وثائق أخرى وجدت في المنزل، أما الشرطة فردت بالنفي وأن الاستخبارات يحاولون تليبسهم خطأ ارتكبه أحد العاملين في جهازهم. والسؤال الذي يطرح نفسه هو أنه إذا كانت أجهزة الأمن في دولة تدعي الديمقراطية ورعاية حقوق الإنسان تقوم بتزوير أدلة واختلاق اتهامات، فماذا عساه يجري في دول العالم الثالث؟!
(وكالات الأنباء 5/8/1414 هـ)

دراسات اقتصادية

الإسلام والقضايا الاقتصادية المعاصرة معالجة الأزمات الغذائية

د. محمد بن عبد الله الشباني

مقدمة:

ترتبط المشكلات والأحداث السياسية بالقضايا الاقتصادية، فالأوضاع الاقتصادية لها تأثير في مسار الأحداث والتغيرات التي تصيب الدول والشعوب

والحضارات؛ لهذا فإن الأوضاع الاقتصادية وكيفية معالجتها تؤدي إلى التأثير سلباً أو إيجاباً على صمود الدول والمجتمعات تجاه رياح التغيير، فكلما تمت معالجة الأوضاع الاقتصادية وفق سنن الله ووفق قواعد العدل، فإن رياح التغيير لا تتمكن من التأثير في أوضاع الدول والمجتمعات، ولكن إذا سارت المجتمعات في تنظيماًتها حسب الأهواء والرغبات، وخالفت سنن الله الكونية فإن مآلها إلى الزوال. إن الإسلام دين يجمع بين دفتيه خيري الدنيا والآخرة، ويعالج مشكلات الحياة الدنيا بنفس القدر الذي يعالج فيه أمور العقيدة، وما يتصل بها من مسائل ذات ارتباط بوجود الإنسان وغايته على هذا الكوكب. يُتهم الإسلام من قبل أعدائه وجزء كبير من المنتسبين إليه ممن يدعي الثقافة والعلم بأنه لا يمتلك تصوراً كاملاً لتنظيم شؤون الحياة الاقتصادية والاجتماعية وأن المعطيات المعاصرة لا تتلاءم مع التنظيمات الجزئية التي أمر بها الإسلام. لهذا فإنه ينبغي على المجتمعات الإسلامية إذا أرادت الخروج من واقعها أن تتبنى المناهج الغربية في التنظيم الاقتصادي والاجتماعي، ولهذا تتجه الدول الإسلامية قِبَل البنك الدولي ليضع لها السياسات الاقتصادية والاجتماعية التي يجب على هذه الدول اتباعها إذا أرادت الخروج من واقعها الاقتصادي السيء. إن هذه المقولة وتبنيها من أصحاب القرارات في العالم الإسلامي والإيمان بها من قِبَل قادة الفكر الاقتصادي والسياسي، إنما ينبع من جهل كامل بالإسلام وتعاليمه وقلّة الفقه بالتشريع الإسلامي، ومحاربة كل توجه للأخذ بالإسلام، والتسليم الكامل بالمقولات الغربية الناتج عن الانهزام النفسي والمادي الذي أصاب العالم الإسلامي تجاه القوى الغربية المتسلطة.

إن من أهم مجالات الدعوة للعودة للإسلام في هذا العصر هو إبراز التصور الإسلامي لما يمكن أن يقدمه الإسلام من حلول في المجال الاقتصادي ولهذا فإن الغاية التي أرمي إليها من نشر هذه السلسلة من المقالات في مجلة البيان هو المشاركة في إبراز ما يحتويه الإسلام من ثروة علمية في تنظيم الحياة الاقتصادية المعاصرة، وما يشتمل عليه من مبادئ اقتصادية علمية ينبغي للمجتمعات الإسلامية الأخذ بها، وتطبيقها في الواقع المعاش. إن المنهج الذي سوف أتبعه في استعراض القضايا الاقتصادية المعاصرة هو أخذ أي مشكلة اقتصادية أو وضع تنظيمي اقتصادي معاصر وإبراز وجهة النظر الإسلامية من خلال دراسة الأدلة الشرعية من القرآن والسنة بإيضاح المنهج الذي يرشد إليه الإسلام في معالجته لهذا الوضع، ومدى قابلية هذا المنهج للاسترشاد به في حل الأوضاع الاقتصادية المعاصرة، وإبراز مدى التفرد والتميز والواقعية للمنهج الإسلامي في معالجة الأمور الاقتصادية.

النقص المؤقت للسلع:

من المشكلات الاقتصادية التي تواجه المجتمعات المعاصرة مشكلة النقص المؤقت للسلع التي يحتاج إليها الأفراد: هذا النقص قد يكون ناتجاً عن سوء السلوك الإداري للمديرين الذين يتولون إدارة الاقتصاد في المجتمع، أو قد يكون ناتجاً عن عناصر التدخل في ميكانيكية السوق بالاحتكار وحجب السلع عن السوق، أو قد يكون ناتجاً عن نقص فعلي في السلع.

إن معالجة النقص في السلع مرتبط بمعالجة السبب المحث للنقص والإسلام يعالج الأسباب الجزئية، لكن علاجه لا يمكن أن يؤدي دوره الكامل والفاعل إذا لم يكن الإطار العام للتنظيم الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي للمجتمع يخضع لقواعد وقيم الإسلام الحاكمة للفكر والتوجيه العقائدي والسلوكي، ولهذا ينبغي إدراك هذه الحقيقة، وإن العلاج لجزئية من الجزئيات لا تنفصل عن الإطار الكلي للعلاقات التأثيرية لمختلف الأنظمة الاجتماعية.

لقد وردت أحاديث نبوية عديدة تعالج معظم الأسباب التي تؤدي إلى وجود وظهور النقص في السلع، وفي هذه الحلقة سوف أقتصر على كيفية معالجة الإسلام للنقص الفعلي، أما الأسباب الأخرى لمعالجة مشكلة الأزمات الغذائية فسوف أستعرضها في مقالة لاحقة إن شاء الله.

روى مسلم ومالك والبيهقي، عن عبد الله بن أبي بكر، عن عبد الله بن واقد أنه قال: نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن أكل لحوم الضحايا بعد ثلاثة، قال عبد الله بن أبي بكر فذكرت ذلك لعمره بنت عبدالرحمن، فقالت: صدق سمعت عائشة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- تقول: دف (1) أهل أبيات من أهل البادية حضرة الأضحى زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ادخروا ثلاثاً ثم تصدقوا بما بقي، فلما كان بعد ذلك قالوا: يا رسول الله: إن الناس يتخذون الأسقية من ضحاياهم ويحملون فيها الودك (2)، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ما ذاك؟ قالوا: نهيت أن تؤكل لحوم الضحايا بعد ثلاث، فقال: «إنما نهيتكم من أجل الدافة التي دفت عليكم فكلوا وادخروا وتصدقوا» وفي رواية من طريق آخر لدى ابن ماجه عن عبدالرحمن بن عايش عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: إنما نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن لحوم الأضاحي لجهد الناس، ثم رخص فيها وفي رواية للبخاري عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «من ضحى منكم فلا يبقين بعد ثلاثة وفي بيته منه شيء» فلما كان العام المقبل قالوا: يا رسول الله نفعك كما فعلنا العام الماضي؟ قال: كلوا وأطعموا وادخروا فإن ذلك العام كان بالناس جهداً فأردت أن تعينوا فيها.

وقد روى البخاري ومسلم عن أبي موسى قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الأشعريين إذا أرموا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم».

بدراسة الأحاديث السابقة نجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام عالج النقص السلعي في المدينة بأسلوب توجيهي للأمة ليقتدي به قادة الأمة الإسلامية حيث وضع عليه الصلاة والسلام منهجاً تطبيقياً ينبغي على الدولة المسلمة اتباعه عند حدوث النقص في السلع التي يحتاج إليها الناس خلال فترة النقص ويتمثل هذا المنهج في التدخل وبالمعالجة الوقتية وفق هذا التوجيه النبوي القائم على مواجهة الظروف، فمعالجة الرسول -صلى الله عليه وسلم- للمجاعة عندما وفدت أعداد من الأعراب إلى المدينة في عيد الأضحى أنه -صلى الله عليه وسلم- نهى عن الاحتفاظ بلحوم الضحايا لأكثر من ثلاثة أيام، وعندما انتهت الأزمة سمح بالادخار. هذا التوجيه النبوي يمكن انتهاجه واعتباره استراتيجية يتم اتباعها عند مواجهة الأزمات التموينية، فعند نقص السلع يمكن تدخل الدولة بتقنين كمية الاستهلاك الفردي، ومنع الادخار. يؤكد هذا الأمر حديث أبي موسى عن الأشعريين حيث ورد في الحديث تحبير الرسول -صلى الله عليه وسلم- لمنهجهم في حالتين: الأولى في حالة السفر، وعند نقص الإمدادات، والثانية في المدينة عند نقص الكميات المتوفرة، والتوجيه النبوي تعليم للأمة وإرشاد إلى المنهج الذي ينبغي اتباعه في حالة نقص المواد السلعية الاستهلاكية سواء أكان بسبب نقص الإنتاج أو التأخر في الحصول عليه من خلال الجلب، أي التأخر في الاستيراد لأي سبب، فعندئذ يمكن تحديد كمية الاستهلاك من هذه السلع الناقصة بحيث لا يزيد الشراء عن حاجة ثلاثة أيام، كما أنه يمكن حصر الكميات المتوفرة في الأسواق وبيعها على الناس وفق حاجة الفرد الاستهلاكية لمدة ثلاثة أيام، وعلى الجهاز الحكومي استخدام الأساليب التنفيذية اللازمة باستخدام جميع المعطيات العلمية المتوفرة لتنفيذ هذا التوجيه النبوي. إن هذا الإجراء ليس إجراءً مستمراً، وليس قاعدة عامة تتبع في كل حين، بل إن هذه المعالجة جاءت لمجابهة واقع النقص فقد أوضح حديث الأشعريين أن هذا الإجراء مرتبط بالأزمات، حيث أشار الحديث إلى اتباع سياسة التوزيع التمويني عند النقص الفعلي للسلع، ولكن لا يكون ذلك أسلوباً دائماً وسياسة تموينية ثابتة، ونمطاً في ممارسة إدارة الاقتصاد التمويني، لكن هذا الأسلوب يتبع فقط عند حدوث الأزمات، وعندما تنفرج فإن القاعدة العامة ترك الناس يتصرفون وفق رغباتهم وقدراتهم المالية، ووفق واقع السوق الذي يوجه عملية التبادل التجاري وفق قانون العرض والطلب.

إن أسباب النقص الفعلي للسلع تتمثل في أمرين حسب ما أشار إليه حديث أبي موسى وهما:

الأول: عند نقص الإنتاج من السلع لظروف طبيعية خارجة عن إرادة الإنسان تنتج عن ذلك نقص في الكمية المعروضة للبيع عن الحاجة الاستهلاكية. والثاني: قلة الجلب (الاستيراد) وهو تأخر أو امتناع المستوردين عن الاستيراد أو ضعف الدولة عن استيراد كامل ما تحتاجه من السلع من خارج إقليمها أو نتيجة لحصار اقتصادي مفروض عليها من أعدائها.

المعالجة الإسلامية للأزمات الغذائية لا تخرج في إطارها العام عن المعالجة المعاصرة، إلا أن الإسلام يتميز بعنصر لا يوجد في أي نظام من الأنظمة الاقتصادية المعاصرة، هذا التميز يتمثل في أن امثال القرارات الإدارية التي تصدر عن ولاة الأمر تلقى القبول النفسي والتنفيذي الطوعي لارتباطها بالإيمان العقائدي للأفراد، فالمسلم يقبل ما تفرضه الدولة من إجراءات باعتبارها تحقيقاً لمصلحة عامة، ولكنه قبل ذلك باعتباره مطلباً شرعياً يرتبط بمفهوم تحقيق العبادة لله. إن نجاح هذا المنهج لا يتوقف على التنفيذ التطبيقي الجزئي لهذا الإجراء فلا يمكن نجاح هذا الإجراء في مجتمع غالبة شعبه مسلم إذا لم تكن أنظمة هذا المجتمع في جميع مناحي الحياة تلتزم بالتشريع الإسلامي، لهذا نجد أن عمليات تقنين الاستهلاك في المجتمعات الإسلامية غير ناجحة بسبب أن التنظيمات الاجتماعية الأخرى مخالفة، وبالتالي لا تجد القرارات التنظيمية التي يقرها الإسلام ويأمر بها القبول من قبل الجماهير الإسلامية في الدول الإسلامية بسبب التناقض في توجهات هذه الدول ومناهجها التنظيمية الأخرى التي تتصادم مع أساسيات الدين وقواعده.

إن التنظيم الإسلامي في جزئية من الجزئيات لا يمكن نجاحه إذا فصل عن التنظيم الكلي، لهذا لا يمكن نجاح أي تنظيم اقتصادي كجزئية إذا كانت بقية الأجزاء تتصادم معه، وأكبر دليل على ذلك ما يتم انتهاجه بتقديم حلول فقهية لمشاكل اقتصادية أوجدها نظام اقتصادي لا يرتبط بالإسلام بل يعارضه ويعاديه. ومثال على ذلك نجد عدم قدرة البنوك الإسلامية في تحقيق التغيير في التنظيم البنكي ولجوءها في كثير من الأحيان إلى البحث عن الحيل الشرعية لكي توائم واقعها التنظيمي مع الواقع التنظيمي الاقتصادي للنظام الربوي السائد في تلك المجتمعات، التي أجازت قيام مثل هذه البنوك أي البنوك الإسلامية مع إلزامها بالخضوع لفلسفة ومنهج النظام الربوي. هذا الوضع البيئي للبنوك الإسلامية أدى إلى عجزها عن التفرد والتميز بل أصبحت في معظم الأحيان أدلة يعتبرها المعارضون لأسلمة الاقتصاد، فيتخذون واقع هذه البنوك حجة لعجز الإسلام عن إيجاد البديل العملي، مما دفع ببعض من ينتسب إلى العلم الشرعي بإجازة صور عديدة من الربا وتغيير مسمى الفائدة أو الربا إلى الربح أو العمولة..

الهوامش :

- (1) دف: الدف هو السير البطيء مع تقارب الخطو.
- (2) الودك: أي الشحم ويحملون أي يذبيون. الدافة: قوم مساكين قدموا المدينة أقدمتهم المجاعة. أرملوا أي فويت أزوادهم. إناء: وعاء.

في دائرة الضوء

مستقبل الدعوة السلفية.. رؤية نقدية

جمال سلطان

تمهيد:

تطرح مجلة البيان هذه الرؤية النقدية للكاتب الكريم والذي له العديد من الدراسات الفكرية والدعوية الجادة من قبيل النقد الذاتي الذي يراد منه التعاون لدراسة واقعنا الدعوي بعلمية وموضوعية، رغبة في تلافي ما قد يوجه إليه من ملاحظات أو سلبيات، وأملاً في الوصول به إلى الأفضل إن شاء الله والمجال مفتوح لأي مناقشة موضوعية تلتزم بأداب الحوار. والله من وراء القصد.

- البيان -

الدعوة السلفية هي عماد الصحوة الإسلامية المعاصرة، وهي مادتها، وقاعدتها القوية، التي تصل ما انقطع بين الخلف وسلفهم الطيب الصالح، وتدعو الناس إلى منهج الجيل الراشد، وهدى محمد -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، لأن ذلك النهج وذلك الهدى، هما في الحقيقة منهاج الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، كما قال: «تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي».(1)

وإذا كان الأمر كذلك، فإن هذه الدعوة المباركة، تتحمل تبعات جسام في مسيرة الإحياء الإسلامي الجديد، تستدعي من أبنائها وأهلها أن يكونوا على قدر هذه التبعات، علماً وحكمة، وسعة وإدراكاً، وجهاداً، وأثبت عند النوازل والفتن، على مختلف أنواعها وصنوفها. بيد أن الأمر الذي لا يسعنا تجاهله، أو تجاوزه، هو أن هذه الدعوة وأهلها من العلماء والدعاة والمفكرين والعاملين، يبقون بشراً من البشر، وتبقى جهودهم في هذا السبيل، جهوداً بشرية، يعثرها ما يعثره الجهد البشري من عوارض مختلفة، منها الزلل، ومنها الخطأ، ومنها الغلو أو الإفراط أو التفريط، ومنها الذهول عن بعض الحقائق المنهجية أو العلمية أو الواقعية، ومنها ضعف بعض النفوس، أو ضعف بعض الهمم، وهذه كلها سلبيات تقع لكل جهد بشري، فطرة الله، ولا عصمة لأحد من الناس بعد النبي الخاتم -صلى الله عليه وسلم-، وهذه الحقيقة من شأن استحضارها أن ينفي الحساسية الزائدة من أي ممارسة نقدية أو تقويمية ذاتية تتوجه إلى الجهود الدعوية المرتبطة بالمنهج السلفي، وإذا كنا نتوجه بالنظر والتقويم والنقد والتصحيح لمجهودات إسلامية مختلفة، من فصائل وأحزاب وجماعات، على قربها أو بعدها من المنهج الرشيد، فلماذا نستنكف نحن أن نقوم أنفسنا، ونعيد النظر في مسار الدعوة السلفية كل حين، للكشف عن المعوقات، أو الآفات، والسلبيات، التي تعترض مسار هذه الدعوة، أو التي تشينها، أو التي تتسبب في فتنة الآخرين تجاهها، إن انتساب أي شخص أو حركة أو تيار إلى المنهج السلفي لا يعني منحه صك عصمة مفتوحاً، بحيث يكون كل قول له أو فعل أو سلوك أو تقدير حقاً لا مرأى فيه، ورشاداً لا زيف معه، واستقامة لا اعوجاج بها،

فهذا كله غلو ينبغي أن تنتزه عنه الدعوة السلفية، ولا بد أن نملك الجرأة والثقة التي جعلنا نعيد تقويم جهودنا الدعوية، بعدل وإنصاف، وتواضع وجد، حتى لا تتراكم الأخطاء، أو تتكاثف السلبات، أو تتضخم الهفوات، بما يهدد وجود الدعوة ونكون عياداً بالله فتنة للناس، في تقديرهم وحكمهم على منهج الفرقة الناجية ذاتها، والدعوة السلفية بوجه عام.

ثلاث ملحوظات مهمة:

وفق هذا الاطار، وتلكم الرؤية، تجيء هذه الملحوظات الثلاث التي أقدمها للقارئ المسلم، باعتبارها مجاور أساسية، ألاحظ وجود الاضطراب بسببها عند بعض الجهود الدعوية، وأرى أن ضبطها ووعيها، وترشيد المسار الدعوي فيها، هو مطلب بالغ الأهمية، وشديد الخطورة، ومن شأن الإحاطة به وانجازه أن يختصر الكثير من مسافات الطريق نحو التمكين لدين الله ودعوة الحق في مستقبل البشرية إن شاء الله تعالى.

الملحوظة الأولى: وتتعلق بفهم طبيعة الدعوة، ومداهها، ورسالتها العامة، إذ هناك نفر من الدعاة يظنون الدعوة إلى التوحيد، مجرد عمل «تثقيفي» أو «تعليمي» تصحح به «تصورات» الناس تجاه مفهوم «الربوبية» و «الألوهية» ومنهج أهل السنة في «الأسماء والصفات» المتعلقة بالباري سبحانه وتعالى فحسب، دونما بيان شاف كاف عن «تجليات» هذه العقيدة في واقع الناس وسلوكهم ونظمهم الاجتماعية والقيمية والتشريعية ومشاعرهم وولائم وجهادهم وغير ذلك، وهذا الاتجاه المحدود، لو تعززت وجهته في الدعوة السلفية، فستنتهي بنا حتماً إلى حصر الدعوة الإسلامية بشمولها في نوع من الجدل الكلامي الذي يكثر فيه تشقيق المعاني وتهويم الخواطر، وتناطح الأمثلة التجريدية، وإتاحة الفرصة تماماً أمام التيارات المنحرفة لصياغة الواقع الاجتماعي، وبيان الأمة وفق مناهجهم الفاسدة.

وهذا الخلل في الحقيقة يقدم بصور مختلفة أخرى، منها الحديث عن أن «تصحيح العقيدة» فقط هو مطلب هذه المرحلة، وليس من واجب الداعية وربما ليس من المشروع له أن يحدث الناس عن الانحرافات الخلقية، أو أزماتهم الاقتصادية أو مشكلاتهم التشريعية، أو تحدياتهم الدولية، أو هموم واقعهم المختلفة، فلا بد أولاً من تصحيح «عقيدة» الناس، ثم في مرحلة لاحقة نصح باقى الانحرافات، ولا شك أن هذا انحراف كبير عن هدى محمد -صلى الله عليه وسلم-، ودعوة الإسلام قاطبة عند النبيين والمرسلين.

لقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يدعو قومه إلى التوحيد الخالص في مكة، طوال ثلاث عشرة سنة، ليخرج قومه من ظلمات الجاهلية والوثنية والإشراك بالله، إلى نور التوحيد ومع ذلك الحرص الشديد على دعوة التوحيد، فإن الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان يجتهد في تصحيح الانحرافات الاجتماعية كلها في الواقع الذي يعيشه، ويقرن ذلك كله بالتوحيد، حتى لكانهما بناء واحد لا يمكن فصل بعضه عن بعض في دعوة الحق، وحسبنا في ذلك القرآن المتلو في مكة:

ألم يكن مما تلاه -صلى الله عليه وسلم- على قومه في مكة ((«ويل للمطففين، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين»)) (2) أرايت كيف ترتبط الدعوة إلى العدل والقسط و «النزاهة» بالإيمان بالله واليوم الآخر؟!.

أولم يكن مما تلاه -صلى الله عليه وسلم- على الناس بمكة قول الحق تعالى: ((«أرايت الذي يكذب بالدين، فذلك الذي يدعُ اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون»)) (3) أرايت كيف ارتبطت العقيدة بالسلوك الاجتماعي بالعبادة في رباط واحد وسياق واحد!

ألم نقرأ ما نزل من آخر سورة الفرقان، وفقه الدعوة وشمولها فيه: ((«والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً، والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون»، «والذين لا يشهدون الزور»)) (4).

ألم يربط القرآن أذهان المسلمين بالأحداث الدولية الجارية في زمانهم وآثارها على الجماعة المسلمة، رغم بعد المكان، وانعدام الصلة تقريباً من الناحية العملية بين هذه الجماعة وتلك الأحداث ((«غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد * ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله»)) (5) وعلى هذا النهج فقس، وهو أمر يطول ويشغل الصفحات العديدة، وهذا كله فيما نزل بمكة، ولا يوجد موحد آنذاك على الأرض إلا بضع عشرات من المؤمنين بقربة من قرى كوكب الأرض، وهذا أسوقه لمن يقابل بين واقع المسلمين الحالي، وواقع مكة: من بعد الناس عن التوحيد أو جهلهم به، وهذا أمر لا يسلم تماماً، فأوجه الافتراق واضحة، كما أن أوجه المشابهة موجودة أيضاً.

ثم هل جاء نبي أو رسول من رسل الله، إلا وكان يدعو إلى إصلاح المجتمع كله، وليس فقط تصحيح العقيدة فقط، ألم يكن منهم من جمع إلى التوحيد الدعوة إلى التنزه عن فاحشة إتيان الذكران، ومنهم من دعا إلى القسط في المعاملات التجارية ((«أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين»)) (6)، ومنهم من دعا إلى إزالة التجبر والطغيان (7) ((«أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * وإذا بطشتم بطشتم جبارين * فاتقوا الله وأطيعون»))، أولسنا مأمورين بالاعتداء بهذه الكوكبة الرائعة من دعاة التوحيد. ((«أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده»)) (8).

إن الدعوة السلفية مطالبة بمحاصرة هذه الجهود الانعزالية المنتسبة إلى المنهج السلفي، وهي في حقيقتها لا تتعدى الصورة الجديدة للمنهج الصوفي الانعزالي القديم، الذي عزل الدين عن الدنيا وهموم المجتمع ومقتضيات الاستخلاف في الأرض، قبل أن تأتي العلمانية لتستثمر هذا «الانحراف» وتؤسس عليه تخريبها الكبير في ديار الإسلام.

الملحوظة الثانية: وهى محور أساس وجوهري من محاور الدعوة الإسلامية، يذهل المرء عندما يجد دعاة منتسبين إلى المنهج السلفي، ينازعون فيه، أو يحقرون من قيمته، وذلك هو أصل معرفة الزمان، والوعي العميق بالواقع الاجتماعي الذي تتحرك فيه الدعوة، وتنزل به الأحكام، وقديماً قال الصالحون: «رحم الله امرءاً عرف زمانه فاستقامت طريقته». إن البصيرة النافذة بأحوال الزمان، وأحوال الناس فيه، والعلاقات التي تتحكم في سلوك الناس الاجتماعي، وتؤثر في اتجاهات هذا السلوك، والضغوط التي تفعل فعلها في الواقع، وموازين القوى، وأعراف الناس المتغيرة، وهموم المسلمين وما عمت به البلوى وما لم تعم، والأخطار المحدقة بالأمة من خارجها ومن داخلها، ومواقع القوة أو الضعف فيها وفي أعدائها، ونحو ذلك من أحوال، فهذا كله ليس مجرد جهود محمودة، بل هى مطلب شرعى لا تستقيم الدعوة، ولا تنضبط أحكام الشريعة بدون تحصيله، وبدون هذا الفقه للواقع لا يمكن لمسلم تنزيل قاعدة «المصالح والمفاسد»، ولا أصل «لا ضرر ولا ضرار»، ولا أصل «ارتكاب أخف الضررين» ولا باب «سد الذرائع» ولا باب «الضرورات العامة وما تعم به البلوى» وغير ذلك الكثير من مقتضيات الدعوة وأصول الأحكام، ومن دخل في شيء من هذا كله بدون معرفة بالزمان وبصيرة بأحوال المسلمين وفقه لواقعهم، فهو «مغامر» ولا شك، وضارب في عماية، ولا يؤمن جانب دعوته وفتواه أن تودي بالمسلمين إلى موارد الهلكة والفساد.

ولقد كان من هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، مراعاة أحوال الناس، والبصيرة بواقعهم وظروف الزمان، وموازين السلوك الاجتماعي، وكان يوجه دعوته -صلى الله عليه وسلم- وفق ذلك الاعتبار، فيقدم ويؤخر، ويوجه ويرشد.

روت لنا كتب السنة الصحيحان والنسائي وأحمد واللفظ لمسلم من حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ألم تر أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم، قالت: فقلت يا رسول الله أفلا تردّها على قواعد إبراهيم، قال رسول الله : ولولا حدثان قومك بالكفر لفعلت».

لقد وعى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، واقع الناس، وحساسيات ذلك الواقع ووضع ذلك كله في اعتباره وتقديره، فأخر ما كان يحب فعله مراعاة لذلك الواقع، وقد ثبت أن ابن الزبير رضى الله عنه حقق ما أمّله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما بعد، بعد أن تغير الواقع واختلفت موازينه.

وروت لنا كتب السنة اللفظ لمسلم في صحيحه من حديث معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال: كنت ردّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على حمار يقال له عفير، قال فقال: يا معاذ تدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قال قلت لله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد

أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله عز وجل ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً، قال قلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس قال: لا تبشرهم فيتكلموا.

وفى هذا الحديث الجليل فائدتان، الأولى هي هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما منع إذاعة البشارة في ذلك الوقت، مراعاة لأحوال الناس، ومبلغ فقههم وانتشار العلم فيهم، ودرجة وعيهم بوضع هذه البشارة من سياق التكليف كله، ومن لا يعرف واقع الناس لن يفهم قيمة ذلك الهدي الجليل، والفائدة الأخرى من اجتهاد «معاذ بن جبل» رضي الله عنه، عندما أذاع هذه البشارة قبل موته، وما ذلك إلا لمعرفة بهدي النبي -صلى الله عليه وسلم- وأن المنع كان متعلقاً «بواقع الناس» فلما «تغير الواقع» وشاع العلم، وتمكن الإسلام في النفوس أذاع البشارة تأثماً من كتمان العلم، ومعاذ رضي الله عنه هو من هو في معرفة الحلال والحرام، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد اختاره لتبليغ الدعوة ونشرها في «اليمن» وبعث معه أبا موسى الأشعري، وأوصاهما في مهمتهما الجليلة فقال: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا» (9) واليسر والبشارة أو العسر والتنفير ليسا من الأمور النظرية المجردة، وإنما هي مرتبطة «بواقع الأحكام والدعوة في المجتمع وبين الناس» فمن جهل طبيعة الواقع أو تجاهل أحوال الناس لم يدر هل يسر عليهم؟ أم عسر؟ وهل نفرهم عن الدعوة أم حببهم إليها؟ فضلاً عن متى يكون التكليف «يسراً» في الواقع، ومتى يكون «عسراً».

وواقعة حديث معاذ رضي الله عنه نفسها تكررت مع أبي هريرة رضي الله عنه، وروتها كتب السنة، إذ حمله الرسول -صلى الله عليه وسلم- البشارة: «من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة» فقال عمر رضي الله عنه، لرسول الله ص: فلا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فخلهم» (10)، وفي هذه الواقعة فائدة إضافية، وهي اجتهاد عمر رضي الله عنه في معرفة الزمان وأحوال الناس وواقعهم وبالتالي أثر البشارة في ذلك الواقع، ولا شك أن اجتهاد عمر أتى من خلال معرفته بهدي نبيه ونبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وأن ذلك الاجتهاد متوافق مع ما تعلمه منه، لأن مثل عمر لا يقدم بين يدي الله ورسوله، ثم فائدة اجتهاد «أبي هريرة» في إذاعة الحديث في زمان لاحق، بدليل أنه وصلنا الآن ودوته كتب السنة.

وروت لنا كتب السنة واللفظ للبخاري في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فسمعها الله رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وقال: ما هذا؟ فقالوا كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعوها فإنها مُتَّينَةٌ، قال جابر: وكانت الأنصار حين قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- أكثر ثم كان المهاجرون

بعُد، فقال: عبد الله بن أبي: أوقد فعلوا؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، قال النبي: دعهُ، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه».

فانظر إلى حكمة النبي الكريم وهدية، فالخطاب لم يتعلق برفض ما ذهب إليه عمر رضي الله عنه من كونه يستحق القتل على فعلته، وإنما الخطاب تعلق بأثر ذلك الفعل في «الواقع» ومدى تأثيره في حركة الدعوة ومسيرة الجماعة المسلمة وفتنة الناس «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»، و«ابن أبي» ليس من أصحابه ولا شك، ولكن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يتحدث عن «واقع موضوعي» ينبغي مراعاته، بغض النظر عن «الحكم المطلق» إذ عامة العرب لا تعرف هذه «التفصيلات» الداخلية في الجماعة المسلمة، وإنما هي تنظر إلى مثل ابن أبي بن سلول على أنه من أصحاب محمد، فهل لنا من السير على مثل هذا الهدى النبوي الكريم؟!.

والشواهد على ذلك الهدى تطول، ولعل باحثاً نابهاً يجتهد في جمعها واستقصائها في دراسة شاملة، فهذا مما يحتاج إليه الشباب خاصة في هذه الأيام، وحاصل الكلام هنا أن معرفة الزمان والبصيرة بالواقع، وفقه أحوال الناس، وهموم الأمة الداخلية والخارجية، هي مطلب شرعي ملح، ولا سيما في هذه الأيام، ولا تستقيم دعوة، ولا يهدى بيان، لا يمتلك هذا الأساس القوي الجليل، وإن من يكابرون في ذلك ويعاندون ولا أقول يخالفون يلحقون أبلغ الضرر بالدعوة السلفية، ويفتحون باباً واسعاً لفتنة الناس والشباب في جدية هذه الدعوة وفاعليتها... وقيمتها.

الملحوظة الثالثة: وهي متعلقة بفقهاء الاختلاف، والذي تحول إلى ثغرة خطيرة تهدد بنیان الدعوة، وتؤرق أبناءها، حيث أصبح كل خلاف ينشأ بين اثنين أو وجهتين من أبناء الدعوة هو بمثابة «حرب شرسة»، لا توسط فيها ولا رحمة، والخائض فيها إما قاتل وإما مقتول، من سهام التجريح والتقريع والاتهام في النوايا والسرائر وترصد الشوارد وتلمس السقطات وغير ذلك على قاعدة «لا نجوت إن نجا»!

مسائل ثلاث:

والحديث هنا يتعلق بثلاث مسائل:

المسألة الأولى: وتتوجه إلى أدب الاختلاف، حيث يتوجب استحضار روح الأخوة والرحمة واللين وخفض الجناح وإحسان الظن في خلاف أهل الإسلام، ولا سيما أبناء المنهج السلفي الواحد، فهم أهل ذلك وهم الأولى به، وضرورة النأي عن الفظاظ والقسوة والعنف والتجريح والطعن في النوايا، وهذا هو الأصل العام للدعوة الإسلامية:

((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)) (11).

والخلافات لا تنتهي في الفروع ومواطن الاجتهاد، فليس يعقل أن يصبح كل خلاف «مشروع حرب»، وتوطئة إلى القطيعة وربما السباب، إلى الجد الذي أصبحت فيه الخلافات بين أبناء الدعوة السلفية تتسم في كثير من الأحيان بالشراسة والمرارة والقسوة، فما أبعد الطريق بيننا وبين أخلاق سلفنا الصالح.

روى الذهبي في «سير أعلام النبلاء» قول يونس الصدفي رحمه الله تعالى قال: «ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة» (12) ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى «.. ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة» (13).

المسألة الثانية: تتعلق بتوصيف الاختلاف، فعلى الرغم من أننا نملك نصوصاً واضحة في بيان «السعة» في أمر الاجتهاد، من أجلها قول الرسول الكريم: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» (14) إلا أن كثيراً من المختلفين يضمن بعضهم على بعض أن يكون له ولو أجر واحد، أو أن يتركه في حال سبيله لا عليه ولا له! إذ أن الخطأ الاجتهادي أصبح وضعاً غير معترف به الآن في الحوار، وحلت محله أوصاف أخرى، أشهرها «البدعة والكفر»، فمن خالف أخاه في مسألة فهو إما مبتدع، وإما كافر، أما أن يقول: مخطئ في اجتهاده، فهذا وصف أصبح عزيز المنال في واقعنا الحالي ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المسألة الثالثة: وتتعلق بظاهرة التردد لأخطاء الآخرين، وتلمس عثراتهم، بل، ونصب الشراك لهم، على طريقة: ماذا تقول في كذا؟ أتقصد أن تقول كذا؟، على أمل أن يظفر منه بهفوة أو سقطة فيطير بها، ويشنع عليه فيها، والحقيقة أن الأمر في ذلك وصل إلى حد مَرَضِي، يصعب تخيله في بعض المنتسبين إلى المنهج السلفي الراشد، وهناك من يحترف التنقيب في كتابات مخالفيه، ثم ينتقي منها فقرات يحملها على أسوأ احتمالاتها ومعانيها، ليخلص منها بأن صاحبها قصد كذا وكذا، فهو إذن مبتدع أو ضال أو كافر، حسب التصنيف الذي يمن به عليه، وأحياناً يبدو للمتابع أن بعض «الناقدين» يسعد كثيراً إذا أثبت البدعة أو الكفر على أحد من المجتهدين أو الدعاة، وكأنه يبتهج بأن يتعزز صف المبتدعين والكفار بزيادة رمز جديد إليهم، هذا إذا صح ظنه وسلم طعنه، فكيف وأغلبها الأعم تحكيمات في الأفهام، وتهويل في التأويل، وإساءة ظن بأهل الإسلام.

لقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتلمس شبهات البراءة لأهل المعاصي، فيأتيه الرجل يقول له: زينت فطهرني فيقول إمام الهدى: لعلك فعلت كذا، فيقول لا بل زينت فطهرني، فيعاود إمام الرحمة، لعلك فعلت كذا، مرات عديدة عساه يجد له مخرجاً، وتهمته معصية (15)، فما بالنا مع من تهمته الكفر والابتداع في الدين، لا سيما إذا كان من أهل الفضل أو الدعاة أو

العلماء أو العاملين للإسلام، إن الأولى بالمسلم الراشد، أن يتلمس للناس المخارج، ولا سيما في التهم الشنيعة، ويقول: لعله قصد كذا، ولعله أراد كذا، وربما لعله سها، لعله فاته الدليل، هذا هو سبيل الراشدين، وهذا هو نهج السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم، ليس فقط في ما هو محتمل، بل في ما هو وقوع في بدعة صريحة، وعرف عمن أخطأ فيه السلامة، ولم يعرف عنه الدعوة إلى البدع والخروج على منهاج السنة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة، ولم يعلموا أنه بدعة، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها، وإما لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم، وإن اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله ((ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)) وفي الصحيح قال: قد فعلت(16).

ويقول العلامة شمس الدين الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمته عن «قتادة بن دعامة السدوسي» التابعي الجليل أحد أوعية العلم «... وكان يرى القدر، نسأل الله العفو، ومع هذا فما توقف أحد في صدقه، وعدالته وحفظه، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يسأل عما يفعل، ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحرية للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر له زلله، ولا نضله ونطرحه، وننسى محاسنه، نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك(17).

الله أكبر، أين من هذا البيان الفذ من يتصيدون الكلمات والهفوات للدعاة، فيطيطون بها كل مطار؟ وأين من هذا البيان الراشد، من لا تقرأ أعينهم إلا بأن يثبتوا بكل سبيل وكل حيلة ضلال داعية أو ابتداع فقيه أو كفر مجاهد من المجاهدين؟

إن هذه الظاهرة الطارئة والشاذة من بعض أبناء الدعوة السلفية، من شأنها أن تسيء إلى الدعوة برمتها، وأن تؤسس للفتنة، وتضع منهجاً جديداً للتدمير، ولو أخذ كل داعية أو عامل بمثل هذا المنهج الاتهامي، فسوف يأتي يوم لا يوجد فيه على وجه الأرض سلفي واحد غير متهم، لأنك لن تجد في أحد كائناً من كان إذا ترصدت ما كتب وما قال، أن تظفر عنده بكلمة أو عبارة أو سطر، تحتل احتمالاً، أو حتى تحمل سقطاً أو هفوة، ونسأل الله اللطف بعباده.

هذه هي الملاحظات الثلاث التي أردت الوقوف عندها، وعرضها على القارئ المسلم، ولا سيما الدعاة والعاملين في سلك هذه الدعوة، من باب النصيحة لدين الله، ولدعوة الحق، وهي ملاحظات مراقب مجرد مراقب مسلم للظواهر الطارئة في الدعوة السلفية، أو المخاطر المرتبطة بها، وهي مخاطر تتهدد مستقبل هذه الدعوة، ومن ثم مستقبل الصحو الإسلامية كلها، لأن الدعوة السلفية هي قطبها ودعامتها، وروحها المحركة، أرجو أن أكون قد

وفقت في بيان ما قصدت إليه فيها، فإن أدركت الصواب فمن الله تعالى وبرحمته، وإن أدركني الخطأ فمن نفسي وبتقصيري، والحمد لله أولاً وأخيراً وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الهوامش :

- (1) الحديث رواه أبو داود والترمذي وصححه، ووافقه الألباني في صحيح الترمذي من طرق وبالفاظ قريبة.
- (2) سورة المطففين: 1-6.
- (3) سورة الماعون: 1-5.
- (4) سورة الفرقان: 67، 68، 72.
- (5) سورة الروم: 2-5.
- (6) سورة الشعراء: 181.
- (7) سورة الشعراء: 128، 131.
- (8) سورة الأنعام: 90.
- (9) رواه البخاري.
- (10) رواه مسلم.
- (11) سورة النحل: 125.
- (12) سير أعلام النبلاء (10/16، 17).
- (13) مجموع الفتاوى (4/172، 173).
- (14) رواه البخاري.
- (12) سير أعلام النبلاء (10/16، 17).
- (13) مجموع الفتاوى (4/172، 173).
- (14) رواه البخاري.
- (15) الإشارة إلى قصة «ماعز» وهي في الصحيح بتمامها.
- (16، 17) نقلاً عن كتاب أخينا الشيخ أحمد بن عبدالرحمن الصويان (الحوار: أصوله المنهجية وأدابه السلوكية) 118، 120، وهو من أجود ما كتبه المعاصرون حول هذه المسألة، جزي الله صاحبه خيراً.

دراسات قرآنية

صور من الاعتداء في الدعاء*

خالد بن عثمان السببت

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلا ريب أن اللجوء إلى الله تعالى فطرة فطر الله العباد عليها، وهو أمر معلوم من الدين بالضرورة، كما أن الدعاء عبادة عظيمة تُعد من أجل الطاعات وأفضل القربات، بل عده النبي هو العبادة كما روي ذلك أبو داود وغيره من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً: «الدعاء هو العبادة»، قال ربكم ادعوني أستجب لكم» (2).

وقد تضافرت النصوص من الكتاب والسنة في طلبه والثناء على أربابه وهذا أمر معلوم لكل أحد. إلا أن هذه العبادة الشريفة التي تقرب العبد إلى ربه تبارك وتعالى قد يشوبها ما يجعلها موجبة لمقت الله عز وجل وغضبه. قال الله تعالى ((ادعوا ربكم تضرعاً وحُفِيَّةً إنه لا يحب المعتدين)) (2) فهذه الآية تضمنت الأمر بالدعاء بالوصفين المذكورين أولاً، كما تضمن ما يدل على النهي وذلك في قوله (إنه لا يحب المعتدين) فهذا يدل على النهي عن الاعتداء في الدعاء.

وحقيقة الاعتداء: مجاوزة حد ما. وقيل: تجاوز الحد في كل شيء (3). وقد تقاربت أقوال العلماء في بيان معناه هنا - أي المتعلق بالدعاء - وذلك عند تفسيرهم لقوله تعالى (إنه لا يحب المعتدين) (2).

فقال ابن جرير رحمه الله: «إن ربكم لا يحب من اعتدى فتجاوز حده الذي حده لبعاده في دعائه وفي غير ذلك من الأمور» (4). وقال الطرطوشي: «يعني المجاوزين في الدعاء ما أمروا به» (5).

وقال القرطبي: «والمعتدي هو المجاوز للحد ومرتكب الحظر» (6). وقال ابن القيم بعد أن ذكر بعض أنواع الاعتداء في الدعاء: «فكل سؤال يناقض حكمة الله، أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو يتضمن خلاف ما أخبر به فهو اعتداء لا يحبه الله ولا يحب سائله» (7).

ولما كان هذا الأمر - أعني الاعتداء في الدعاء - يكثر وقوعه، رأيت أن الحاجة ماسة للحديث عن هذه الآفة ليحذرها المسلم.

والاعتداء في الدعاء تارة يكون في الأداء والطريقة، وتارة يكون في الألفاظ والمعاني، ويتفرع عن ذلك أمور كثيرة، وسوف أذكر في هذا المقام عشرين نوعاً من أنواع الاعتداء التي يدخل تحت كل نوع منها صور كثيرة:

النوع الأول: أن يشتمل الدعاء على شيء من الشرك: وهذا من أسوأ الاعتداء وأشنعه كما لا يخفى لأن الدعاء عبادة لا يجوز صرفه لغير الله عز وجل.

النوع الثاني: أن يطلب نفي ما دل السمع على ثبوته: كأن يدعو لكافر أن لا يُعذب أو يُخلد في النار، أو يسأل ربه أن لا يبتليه أبداً، أو لا يبعثه، أو أن لا يدخل أحداً من المسلمين النار، أو أن لا تقوم الساعة... ونحو ذلك.

النوع الثالث: أن يطلب ثبوت ما دل السمع على نفيه. كأن يدعو على مؤمن أن يخلده الله في النار، أو يدعو لكافر أن يدخله الله الجنة، أو يدعو لنفسه أو لغيره - غير النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يكون أول من تنشق عنه الأرض، أو أول من يدخل الجنة.

أو يسأل ربه الخلود إلى يوم القيامة، أو يطلب الاطلاع على الغيب، أو يسأل العصمة من الخطأ والذنوب مطلقاً.

النوع الرابع: أن يطلب نفي ما دل العقل على ثبوته.

النوع الخامس: أن يطلب إثبات ما دل العقل على نفيه، كأن يسأل ربه أن يجعله في مكانين في وقت واحد، أو كأن يشهد الحج وفي نفس الوقت يكون مرابطاً في الثغور، أو يدعوا على عدوه أن يكون غير موجود ولا معدوم، أو غير حي ولا ميت «أعني الحياة والموت الحقيقية».

وهذا النوع والذي قبله ذكرتهما تكملة للقسمة في مقام التفصيل والتبيين الذي يغتفر فيه ما لا يغتفر في مقام الإجمال، ولا يخفى ما بين العقل والنقل من الموافقة.

النوع السادس: أن يسأل ما هو من قبيل المُحال عادة: كأن يطلب ربه أن يرفع عنه لوازم البشرية بأن يستغنى عن الطعام والشراب، أو النفس، أو يطلب الولد ولم يتزوج أو يتسرى، أو يسأل الثمر من غير زرع، أو يدعو ربه أن يعطيه جبلاً من ذهب، أو يمطر عليه السماء ذهباً وفضة، أو يسأل الطيران دون فعل أسبابه العادية المعروفة، أو النصر على الأعداء (وأن يجعلهم الله غنيمة للمسلمين) ولم يُعد لذلك العدة، وكأن يسأل النجاح دون دراسة.

النوع السابع: أن يطلب نفي أمر دل السمع على نفيه، فهذا من قبيل تحصيل الحاصل.

كأن يقول: اللهم لا تهلك هذه الأمة بعامة، ولا تسلط عليها عدواً من سوى أنفسها فيستبيح بيضتها فهذا أمران دعا بهما النبي -صلى الله عليه وسلم- وأجيبت دعوته وأخبرنا بذلك، فإن دعوت بذلك كان من قبيل ما ذكرت والله أعلم، ومن ذلك أن يدعو ربه أن لا يدخل الكفار الجنة إن ماتوا على كفرهم.

النوع الثامن: طلب ثبوت أمر دل السمع على ثبوته (8)، وهذا مثل الذي قبله، لكن يفرق في صور عدة بين الدعاء لمعين وبين الدعاء العام.

النوع التاسع: أن يعلق الدعاء على المشيئة (9)، قال البخاري رحمه الله في صحيحه: «باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له» وذكر تحته حديثين:

الأول: حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له (10) والثاني: حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت -، ليعزم المسألة فإنه لا مستكره له (11).

النوع العاشر: الدعاء على من لا يستحقه. (أي: يظلم في دعائه): أخرج الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «لا يزال يُستجاب للعبد ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم» (12).

وقد جاء في دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- - كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «رب أعني ولا تُعِن علي - إلى أن قال - وانصرني على من بغى علي..» (13).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فقوله: وانصرني على من بغى علي» دعاء عادل لا دعاء معتد يقول: انصرني على عدوي مطلقاً. ومن الاعتداء قول الأعرابي: «اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً» فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لقد تحجرت واسعاً» يريد رحمة الله» (14).

النوع الحادي عشر: طلب تحصيل المحرم شرعاً: كأن يسأل ربه أن يبسر له خمراً يشربها، أو خنزيراً يأكله، أو امرأة يزني بها، أو مالاً يسرقه، أو وقتاً ومالاً ليسافر إلى بلاد الكفر أو الفسق بلا حاجة معتبرة.

النوع الثاني عشر: رفع الصوت فوق الحاجة (15). فإذا كان الإنسان يدعو بمفردة فالأصل في ذلك الإسرار بالمناجاة كما قال تعالى: ((ادعوا ربكم تضرعاً وخفية)) (2). لكن إن كان معه من يؤمن على دعائه، كالإمام في القنوت، أو الاستسقاء أو نحو ذلك، فإنه يرفع صوته على قدر الحاجة، ويؤمن من خلفه على دعائه دون صياح ورفع زائد على القدر المحتاج إليه؛ لأن ذلك قد يتنافى والأدب مع الله عز وجل.

وقد فسر بعض السلف قوله تعالى: (إنه لا يحب المعتدين) (2) بالذين يرفعون أصواتهم رفعاً زائداً على الحاجة (17).

قال ابن المنير رحمه الله: «وحسبك في تعين الإسرار في الدعاء اقترانه بالتضرع في الآية، فالإخلال به كالإخلال بالضراعة إلى الله في الدعاء، وإن دعاء لا تضرع فيه ولا خشوع لقليل الجدوى، فكذلك دعاء لاخفية ولاوقار يصحبه.

فائدة: ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله فوائد كثيرة تتعلق بخفض الصوت والإسرار بالدعاء (18).

النوع الثالث عشر: أن يدعو ربه دعاءً غير متضرع، بل دعاء مُدَلّ كالمستغني بما عنده المدلُّ على ربه به. قال ابن القيم رحمه الله: «وهذا من أعظم الاعتداء المنافي لدعاء الضارع الذليل الفقير المسكين من كل جهة في مجموع حالاته، فمن لم يسأل مسألة مسكين متضرع خائف فهو معتد» (19).

النوع الرابع عشر: أن يسمي الله بغير أسمائه، وبثني عليه بما لم يثن به على نفسه ولم يأذن فيه، وهذا ظاهر لا يخفى.

النوع الخامس عشر: أن يسأل ما لا يصلح له: مثل أن يسأل منازل الأنبياء، أو أن يكون مَلَكاً لا يحتاج إلى طعام ولا شراب، أو أن يُعطى خزائن

الأرض، أو يُكشف له عن الغيب، أو غير ذلك مما هو من خصائص الربوبية أو النبوة.

النوع السادس عشر: تكثير الكلام الذي لا حاجة له، والتطويل في تشويق العبارات، والتكلف في ذكر التفاصيل، كأن يدعو ربه أن يرحمه إذا وضع في اللحد تحت التراب والثرى، وبين الصديد والدود، وأن يرحمه إذا سألت العيون وبليت اللحوم، وأن يرحمه إذا تولى الأصحاب، وقسم ماله وترك دنيه، أو يدعو على عدوه أن يخرس الله لسانه، ويشل يده، ويجمد الدم في عروقه وأن يسلب عقله فيكون مع المجانين.. إلخ.

أخرج أبو داود وغيره عن أبي نعامة عن ابن سعد «ابن أبي وقاص» أنه قال: سمعني أبي وأنا أقول: اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وبهجتها، وكذا وكذا، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها، وكذا وكذا، فقال: يا بُني: إني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «سيكون قوم يعتدون في الدعاء» فأياك أن تكون منهم، إن أعطيت الجنة أعطيتها وما فيها، وإن أعدت من النار أعدت منها وما فيها من الشر» (20).

وأخرج أيضاً عن أبي نعامة أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: «اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: أي بُني، سل الله الجنة، وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء» (21).

ولا شك أن هذا مخالف لهدى النبي -صلى الله عليه وسلم- في الدعاء، فقد كان عليه الصلاة والسلام يتخير من الدعاء أجمعه.

أخرج أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك» (22).

وأخرج أيضاً عن قتادة رحمه الله أنه سأل أنساً رضي الله عنه: أي دعوة كان يدعو بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أكثر؟ قال: كان أكثر دعوة يدعو بها. «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» (23).

وجاء عند البخاري من حديث أنس: «كان أكثر دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» (24).

النوع السابع عشر: أن يتقصد السجع في الدعاء ويتكلفه.

قال البخاري رحمه الله في صحيحه: «باب ما يكره من السجع في الدعاء» ثم ذكر أثراً عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حدث الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرات، ولا تمل الناس هذا القرآن، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم، ولكن أنصت، فإذا أمروك فحدثهم وهم

يشتهونه. فانظر السجع في الدعاء فاجتنبه فإني عهدت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب» (25).

قال الحافظ: «ولا يرد على ذلك ما وقع في الأحاديث الصحيحة؛ لأن ذلك كان يصدر من غير قصد إليه، ولأجل هذا يجيء في غاية الانسجام كقوله -صلى الله عليه وسلم- في الجهاد: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، هازم الأحزاب» وكقوله -صلى الله عليه وسلم-: «صدق وعده، وأعز جنده» الحديث، وكقوله: «أعوذ بك من عين لا تدمع، ونفس لا تشيع، وقلب لا يخشع» وكلها صحيحة، قال الغزالي: «المكروه من السجع هو المتكلف، لأنه لا يلائم الصراحة والذلة، وإلا ففي الأدعية الماثورة كلمات متوازية لكنها غير متكلفة» (26).

ثم ذكر كلاماً قال بعده: «وقد تتبعت دعوات الأنبياء والمرسلين، والمصطفين من عبادة المخبتين، واستخرجت ما وجدت في القرآن من ذلك فوجدت جميعها: (ربنا ربنا) أو «رب»، ثم أورد جملة من الأدعية الواردة في القرآن ليدلل على ذكره (27)

النوع الثامن عشر: قصد التشهق كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بحيث لا يكون ذلك بسبب غلبة البكاء وإنما هو أمر يعتمده ويطلبه.

النوع التاسع عشر: أن يتخذ دعاءً من غير الوارد في الكتاب والسنة بحيث يصير ذلك شعاراً له يداوم عليه (28). كمن يخصص دعاء معيناً بقوله عند ختم القرآن أو غير ذلك.

النوع العشرون: التغني والتلحين والمطيظ، قال المناوي: «قال الكمال ابن الهمام: ما تعارفه الناس في هذه الأزمان من التمطيظ، والمبالغة في الصياح، والاشتغال بتحريرات النغم إظهاراً للصناعة النغمية، لا إقامة للعبودية، فإنه لا يقتضي الإجابة، بل هو من مقتضيات الرد، وهذا معلوم إن كان قصده إعجاب الناس به، فكأنه قال أعجبوا من حسن صوتي وتحريري» (29).

هذا ما تيسر انتقاؤه من كتب أهل العلم، والله أسأل أن يرزقنا جميعاً العلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش:

* في هذا الموضوع راجع: مسائل الإمام أحمد بن حنبل «رواية صالح» 1/171 الفروع 1/458، الفتاوى 10/713 - 714، الفروق للقرافي 265-4/259، تفسير القرطبي، والقاسمي، والمنار للآية رقم 55 من سورة الأعراف، الدعاء للطرطوشي ص 154-155، تلخيص الاستغاثة ص 93-95، بدائع الفوائد 3/12-14.

(1) أبو داود رقم (1479)، وانظر صحيح أبي داود رقم (1312).

(2) الأعراف: 55.

- (3) انظر الكليات للكنوي ص 150.
- (4) تفسير الطبري 8/207
- (5) الدعاء للطرطوشي ص 154.
- (6) تفسير القرطبي 7/226.
- (7) بدائع الفوائد 3/13.
- (8) ولا يشكل على ذلك بعض ما يشرع لنا طلبه كالوسيلة لنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فإن هذا الأمر قد تعبدنا الله به.
- (9) انظر كتاب الدعاء للطرطوشي ص 48
- (10) البخاري رقم 6338
- (11) البخاري رقم 6339
- (12) البخاري 11/119، ومسلم 2735.
- (13) أحمد 1/227، أبو داود 1510، 1511، صحيح أبي داود 1230، والترمذي 2/272، وابن ماجه 3830
- (14) تلخيص الاستغاثة 94.
- (15) انظر كتاب الدعاء للطرطوشي ص 155-182، والآداب الشرعية 2/272
- (16) الفتاوى 469-22/468
- (17) انظر: ابن جرير 8/207، الدعاء للطرطوشي 154، بدائع الفوائد 3/13، القاسمي 7/150
- (18) انظر الفتاوى 15/15 - 19، وبدائع الفوائد ج3 / 610.
- (19) بدائع الفوائد 3/13.
- (20) أبو داود رقم 1480، صحيح أبي داود رقم 1313.
- (21) أبو داود رقم 96، صحيح أبي داود رقم 87.
- (22) أبو داود رقم 1482، صحيح أبي داود رقم 1315.
- (23) أبو داود رقم 1519، صحيح أبي داود رقم 1344.
- (24) البخاري 6389.
- (25) البخاري 6337.
- (26) الفتح 11/139.
- (27) الدعاء للطرطوشي 151-146.
- (28) أنظر الفتاوى 22/511.
- (29) فيض القدير 1/229.

منتدى القراء
ما هو دوري؟

أحمد العجروش

إن مآسي الأمة أيها الحبيب ليست قصة خيالية تُروى في المجالس ولا حدث يحدث في كوكب ما، بل هي أحداث صحيحة وخطيرة، وإن لم يفقه المسلمون الموقف، فإننا بلا شك مسؤولون يوم القيامة، ومن هذه المآسي ما يحدث لإخواننا في البوسنة والهرسك، تلك البلاد المسلمة التي اجتاحتها جحافل الظلم الصربي الذي يقول: «سننقذ أوروبا من الإسلام!!» ومآسي أفريقيا التي كساها الجوع والجهل، والمرض، مما ساعد على سيطرة النصاري هناك، فدخلوا على الصومال وأرتيريا وهدفهم الوحيد السيطرة على الأرض الغنية بكل الثروات، وإجهاض ما بدا من توجه إسلامي هناك، وحب للإسلام بين أهله، ولا ننسى كذلك جنة الدنيا كشمير التي يحتلها الهندوس الحاقدون على الإسلام وأهله.

وبعد هذا، قد تسأل: ما دوري في ما يحدث؟ وماذا يجب أن أعمل؟
 الجواب: تستطيع أن تعمل، ولك دور بلا شك، لأنك مسلم والإسلام دين قوة وجد وصبر على المصاعب، والحل والله أعلم كالتالي:

- 1- يجب العودة والتوبة إلى الله والاعتراف بالذنب، والاتصال الدائم بالله مما يساعد على قوة القلب والصبر في طريق الدعوة، وأن نؤمن بوعد الله ونصره للمؤمنين؛ لأنه هو الناصر المعين، قال الله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)) (1).
- 2- تخليص القلب من الأحقاد التي زرعتها المرجفون في قلوبنا حقداً على بعضنا فأنسوننا أخوة الإسلام، ونحن نقف بين يدي الله في صف واحد قال تعالى: ((إنما المؤمنون أخوة...)) (2).
- 3- إصلاح النفس ودعوتها لطريق الهدى، وذلك بالعلم النافع والعمل الصالح لكي يسود الخير في المجتمع، ويكون للإسلام صولة وجولة في كل الميادين، قال تعالى: ((ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين)) (3).
- 4- إصلاح المجتمع والبدء بالبيت والحي والمدرسة، وذلك بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والخلق الفاضل، قال الله تعالى: ((واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً)) (4).

وأخيراً أسأل الله أن ينصر إخواننا في كل مكان وأن يثبت أقدامهم وأسأله أن يؤلف بين قلوبنا ويجعلنا من الراشدين.

الهوامش :

- (1) سورة محمد: 7.
- (2) سورة الحجرات: 10.
- (3) سورة فصلت: 33.
- (4) سورة مريم: 54، 55.

من ثمار المنتدى

أنشطة المنتدى الإسلامي

المنتدى الإسلامي مركز من مراكز أهل السنة والجماعة يسير على منهجهم ويدعو إلى أصولهم ويذكر بطريقتهم السليمة من الغلو والانحراف، وهو يستقبل بكل رحابة صدر أي مسلم مهما كان لونه أو جنسيته. ويسرنا هنا تقديم هذا التقرير الشامل لبعض أنشطته التي تمت بعون من الله وتوفيقه ثم بتعاونكم وتشجيعكم لنا مادياً ومعنوياً، سائلين الله أن يجعلنا جميعاً من المتعاونين على البر والتقوى، ونحن في حاجة إلى دعائكم وآرائكم ومؤازرتكم.

أولاً: الأنشطة الثقافية: وتشمل الآتي:

1 - الدورات الشرعية: تهدف هذه الدورات إلى تصحيح وترشيد العمل الإسلامي، ورفع المستوى العلمي لدى الدعاة، وتأصيله تأصيلاً شرعياً، مبنياً على الكتاب والسنة الصحيحة ومنهج السلف الصالح. وقد قام المنتدى الإسلامي بتنظيم عدد من الدورات الشرعية، بلغ عددها ولله الحمد والمنة خمس عشرة دورة، شارك فيها نخبة من العلماء وطلبة العلم، والأساتذة والمتخصصون، وقدم فيها: دروس في العقيدة ومنهج السلف الصالح، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، والفقه وأصوله، والسيرة النبوية والتاريخ، وحاضر العالم الإسلامي، والآداب الإسلامية.

وكانت الدورات موزعة كالتالي:

في لندن: ست دورات.
بنجلاديش: دورتان. استمرت كل دورة لمدة أربعة أشهر.
السودان: دورتان.
تشاد: دورتان.
مالي: دورة واحدة.
كينيا: دورة واحدة.
أوغندا: دورة واحدة.

2 - الملتقيات الدعوية: تهدف هذه الملتقيات الدعوية إلى معالجة مشكلات الدعوة والدعاة، وتنمية القدرات الدعوية والعلمية لدى المشاركين. وتم بحمد الله تعالى عقد (18) ملتقى دعويّاً في عدد من الدول، موزعة كالتالي:

في لندن: 16 ملتقى دعويّاً، كان آخرها: الملتقى السادس عشر في الفترة من 20-21 رجب 1414 هـ شارك فيه كل من: الدكتور جعفر شيخ إدريس، والدكتور محمد بن سعيد القحطاني، والشيخ عبد الرحمن دمشقية، والاستاذ محمد الأحمرري، والاستاذ عثمان رمضان.

في غانا: ملتقى دعويًا واحدًا استمر لمدة عشرة أيام ما بين 24/2 إلى 5/3/1414 هـ شارك فيه 131 داعية من دول غرب أفريقيا وكان شعار الملتقى: ((واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)).

في كينيا: ملتقى دعويًا واحدًا استمر لمدة عشرة أيام ما بين 1/3 إلى 10/3/1414 هـ شارك فيه (85) من الدعاة من دول شرق أفريقيا.

3 - الحلقات والدروس الأسبوعية: واضطرت المنتدى الإسلامي منذ إنشائه على عقد دروس أو محاضرات في كل يوم سبت في مركزه الرئيسي في لندن.

بالإضافة إلى أن كل داعية تابع للمنتدى الإسلامي يكلف بعقد حلقات لتحفيظ القرآن الكريم، ودروس أسبوعية ثابتة في العلوم الإسلامية. كما يقوم الدعاة التابعون للمنتدى في مختلف الدول بإلقاء الخطب والمحاضرات، في شتى المعارف الإسلامية، في المساجد، والمدارس، والتجمعات العامة، وإقامة حلقات لتحفيظ القرآن الكريم.

4 - مطبوعات المنتدى الإسلامي:

(1) مجلة البيان: بدأ المنتدى الإسلامي بإصدار هذه المجلة في عام 1406 هـ.
(2) نشرة المنار «وهي نشرة تصدر باللغة الانجليزية توزع في جميع أنحاء بريطانيا، كما توزع في أمريكا، وتتناول هذه النشرة بعض البحوث المبسطة في الدين الإسلامي، وهي تهتم بمخاطبة الناطقين باللغة الانجليزية.
(3) إصدارات المنتدى الإسلامي: يقوم المنتدى الإسلامي بطباعة الكتب والرسائل المفيدة، مع الحرص على حسن الاختيار والالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة، ومن هذه الإصدارات:

- جهاد المسلمين في أفغانستان يمر بأخطر مراحلها.
- التجديد في الإسلام.
- الحزن والاكتئاب في ضوء الكتاب والسنة.
- أيعيد التاريخ نفسه؟
- رؤية إسلامية للاستشراق.
- الهزيمة النفسية عند المسلمين على ضوء الكتاب والسنة.
- خواطر في الدعوة (جزءان).
- منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين.
- اعتقاد أهل السنة في الصحابة.
- على من تعرض الصور؟ (مأساة المسلمين في البوسنة).
- علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام.
- البدواة والحضارة (نصوص مختارة من مقدمة ابن خلدون).
- الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي.
- (4) طباعة الكتب المترجمة: قام المنتدى الإسلامي بطباعة عدد من الكتب الإسلامية المترجمة إلى عدد من اللغات، ومنها:
- (أ) الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب باللغة الفرنسية.

- (ب) الأصول الثلاثة بلغة الهوسا.
 (ج) الخطوط العريضة بلغة الهوسا.
 (د) رفع الملام عن الأئمة الأعلام باللغة البنغالية.
 (هـ) توجيهات إسلامية (لجميل زينو) باللغة البنغالية.
 (و) عقيدة أهل السنة والجماعة (لجميل زينو) باللغة البنغالية.
 (ز) مبادئ الإسلام باللغة البنغالية.
 (ح) تحفة الأخيار للشيخ عبد العزيز بن باز باللغة الأندونيسية.
 (ط) إلى ابنتي للشيخ علي الطنطاوي باللغة الأندونيسية.
 (ي) القضاء والقدر للشيخ محمد بن عثيمين باللغة الأندونيسية.

ثانياً: برنامج تعيين الدعاة :

قام المنتدى الإسلامي بحمد الله تعالى بتعيين: خمسمائة داعية في عدد غير قليل من الدول الإفريقية والآسيوية. مثل (كينيا، وأوغندا والصومال، وبوركينا فاسو، وساحل العاج، وأثيوبيا، والسودان وتشاد ومالي، والنيجر، ونيجيريا، وبنين، وغانا، وتوجو. والسنغال وبنجلاديش، وباكستان، والفلبين وأندونيسيا.. وغيرها) ليكون ذلك إن شاء الله تعالى إسهاماً في نشر منهج أهل السنة والجماعة. ويخضع تعيين الداعية لشروط عدة، من أهمها:

- 1- سلامة المنهج معتقداً وسلوكاً.
- 2- الكفاءة العلمية.
- 3- الكفاءة الدعوية.

وقد وضعت برامج دعوية يومية لكل داعية يسير في عمله بناء عليها، وتتم متابعة الداعية عن طريق المشرف الدعوي في المنطقة نفسها، وعن طريق إرسال تقارير شهرية إلى اللجنة المختصة بذلك. ومن خلال زيارات دورية يقوم بها مسؤولو المنتدى الإسلامي إلى مناطقهم حيث يتم توجيههم وإرشادهم.

ويحرص المنتدى الإسلامي على رفع المستوى الشرعي والدعوي لهؤلاء الدعاة عن طريق الدورات الشرعية، والملتقيات الدعوية، وتوفير المكتبات والكتب، ونحوها.

ثالثاً: حلقات تحفيظ القرآن الكريم:

يهتم المنتدى الإسلامي اهتماماً خاصاً بكتاب الله عز وجل حفظاً وتلاوة ودراسة، من خلال إقامته لحلقات وخلوات تحفيظ القرآن الكريم، ويبلغ عدد الحلقات التي يشرف عليها المنتدى (418) حلقة، يستفيد منها بحمد الله تعالى: (12540) طالباً وطالبة.

وتتوزع هذه الحلقات في عدد كبير من الدول، منها: كينيا، وأوغندا وتشاد، ومالي، والسنغال، والصومال، وأثيوبيا، وغانا، وباكستان وبنجلاديش، والفلبين وغيرها.

وقد أعد المنتدى خطة متكاملة للارتقاء بمستوى الحلقات، ووضع منهجاً علمياً رديفاً في التوحيد، والفقه، والتفسير، والآداب الشرعية.

يهتم المنتدى الإسلامي بالنشاط التعليمي اهتماماً بالغاً، إذ أن العلم ركيزة رئيسة من ركائز البناء والعطاء. ويشرف المنتدى الإسلامي بفضل الله تعالى على 27 مدرسة، يستفيد منها قرابة 5000 طالب وطالبة. وهي موزعة كالتالي:

في لندن: توجد مدرسة واحدة.
 في كينيا: توجد 12 مدرسة ابتدائية.
 في غانا: أقام المنتدى ثمان مدارس.
 في أثيوبيا: توجد مدرستان.
 في أوغندا: يوجد مركز تعليمي واحد يحتوي على الروضة، والمرحلة الابتدائية والمتوسطة، والثانوية.
 في النيجر: مدرسة متوسطة.
 في باكستان: يوجد مجمعان تعليميان يضم كل منهما المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية.
 ويحرص المنتدى الإسلامي على توفير المناهج الدراسية اللازمة حيث وزعت 2000 نسخة من الكتب على بعض المدارس الإسلامية في غانا و5000 كتاب في بنجلاديش.

رابعاً: القوافل الدعوية:

المناطق الإسلامية مناطق كبيرة مترامية الأطراف وعرة المسالك والدروب وقد انتشر الإسلام بحمد الله تعالى في مختلف الأدغال والقرى النائية ولكن غلب الجهل على المسلمين في المدن الرئيسية فضلاً عن القرى والهجر النائية، مما جعل البدع والشركيات والسحر والكهانة تنتشر في أوساط المسلمين انتشاراً واسعاً. ومثل هؤلاء الجهلة هم البيئة الخصبة غالباً للنشاط الكنسي حيث أقيمت المراكز التنصيرية في القرى النائية، واستقر المنصرون يعملون بين المسلمين.

ولصعوبة الانتقال من منطقة إلى أخرى، ولوعورة الطرق وخطورتها في بعض الأحيان، كلف المنتدى الإسلامي دعائه بإعداد القوافل الدعوية التي تنطلق إلى مختلف الأماكن التي ينتشر فيها المسلمون وغيرهم من الوثنيين والنصارى، وذلك حرصاً على الوصول إلى الأماكن البعيدة والدعوة، لنشر العقيدة السلفية الصافية، ومحاربة البدع والخرافات.

ومن أجل أن يكون تأثير القافلة على المستوى الأمثل، رأى المنتدى أن يرسل طبيباً مع كل قافلة لعلاج المرضى وتوزيع الأدوية، كما تحمل القافلة أحياناً بعض الملابس والمواد الغذائية، وبعض الكتب باللغات المحلية، وذلك من أجل تأليف الناس وتقريبهم إلى الإسلام.

وقد تم بفضل الله تعالى تنفيذ (18) قافلة دعوية، موزعة كالتالي:

في الفلبين: قافلتان.
 في نيجيريا: أربع قوافل.

في بنجلاديش: قافلتان.

في كينيا: أربع قوافل.

في الصومال: أربع قوافل.

في السودان: قافلة واحدة.

في أوغندا: قافلة واحدة.

وأثمرت هذه القوافل بحمد الله تعالى نتائج إيجابية مشجعة للمزيد من العطاء، حيث أقبل الناس على العلم، وبدأوا يتعرفون على العقيدة الصحيحة، والعبادات السليمة، إضافة إلى الوثنيين الذين يسلمون على أيدي هؤلاء الدعاة.

خامساً: بناء المساجد:

قام المنتدى الإسلامي بحمد الله تعالى ببناء 135 مسجداً وجامعاً، في أماكن ودول مختلفة. موزعة كالتالي:

باكستان: أربعون مسجداً.

بنجلاديش: خمسة وعشرون مسجداً.

غانا: ثلاثة عشر مسجداً.

كينيا: سبعة عشر مسجداً.

الصومال: أحد عشر مسجداً.

أوغندا: سبعة مساجد.

تشاد: ستة مساجد.

أندونيسيا: خمسة مساجد.

مالي: ثلاثة مساجد.

الفلبين: ثلاثة مساجد.

السودان: مسجداً.

نيجيريا: مسجد واحد.

السنغال: مسجد واحد.

أثيوبيا: مسجد واحد.

ويحرص المنتدى الإسلامي على تعيين داعية مؤهل في كل مسجد يقوم ببنائه، ليتولى الإمامة، وإقامة الدروس الشرعية، ووعظ الناس، وتدريس كتاب الله عز وجل.

سادساً: المراكز الإغاثية:

قام المنتدى الإسلامي بحمد الله تعالى بإنشاء 25 مركزاً إغاثياً، اثنان منها في أثيوبيا، والباقي في كينيا في مواقع اللاجئين الصوماليين.

كما قام المنتدى الإسلامي بنشاط إغاثي واسع في وسط الصومال وشماله ونشاط إغاثي في مواقع اللاجئين البورميين في بنجلاديش، استفاد منه حوالي عشرة آلاف لاجئ بورمي.

كما أعد المنتدى حملات إغاثية عاجلة للمتضررين من الفيضانات في بنجلاديش، حيث تم بناء سبعين مسكناً، ووزعت المواد الغذائية والملابس.

ويحرص المنتدى الإسلامي على أن يكون النشاط الإغاثي طريقاً للنشاط الدعوي، بتعيين الدعاة في أوساط اللاجئين، وبناء المساجد، وافتتاح حلقات تحفيظ القرآن الكريم، وتوزيع المصاحف والكتب.

سابعاً: حفر الآبار:

نتيجة لموسم الجفاف والقحط الذي ساد القارة الأفريقية، وحاجة المسلمين إلى مصادر للمياه النقية، عمل المنتدى الإسلامي ولازال يعمل على سد حاجة المسلمين في هذه المناطق وغيرها بالمياه الصالحة للشرب. وقد حفر المنتدى الإسلامي حتى الآن 65 بئراً سطحياً، وبئرين إرتوازيين موزعة كالتالي:

الدولة	عدد الآبار
غانا	23
أثيوبياً	8
الصومال	10
بنجلاديش	8
باكستان	12
أوغندا	1
مالي	1
كينيا	2

بالإضافة إلى بئر ارتوازي في كينيا وبئر ارتوازي يعمل بالطاقة الشمسية في تشاد.

ثامناً: مشروع مكافحة العمى:

أقام مركز السنن الإسلامي بالباكستان باشراف المنتدى الإسلامي وتنظيمه وإدارته مخيماً طبياً لمدة خمسة أيام في تشاد في الفترة من 14/6 إلى 19/6/1414 هـ لمعالجة أمراض العيون كانت حصيلته ولله الحمد والمنة ما يلي:

علاج: أكثر من 5000 مريض، مع صرف الأدوية اللازمة.

إجراء: 378 عملية.

توزيع: أكثر من 1500 نظارة.

وقد رافق هذا المخيم نشاط دعوى مكثف شارك فيه أربعون داعية، حيث تم توزيع 12ر000 شريط، وكمية كبيرة من المصاحف والكتب باللغتين العربية والانجليزية.

ومن حصيلة هذا المخيم المباركة: إسلام 23 نصرانياً، وسوف يأتي إن شاء الله تعالى في العدد القادم تقرير مفصل عن هذا المخيم.

تاسعاً مشروع إفطار الصائمين:

يقوم المنتدى الإسلامي سنوياً بفضل الله تعالى بإعداد مشروع لإفطار الصائمين في عدد من دول العالم الإسلامي، كان من آخرها برنامج إفطار صائم في رمضان 1413 هـ وبلغ إجمالي المبالغ المصروفة على هذا البرنامج حوالي (438,000 دولار أمريكي)، وكان عدد إجمالي الوجبات المقدمة 836993 وجبة شملت (18) دولة. وصاحب هذا البرنامج محاضرات ودروس يومية في العقيدة والصلاة والصيام والسيرة والتفسير والآداب والرقائق.

عاشراً رحلة الحج والعمرة:

ينظم المنتدى الإسلامي سنوياً رحلة حج وعمرة لخدمة الجالية المسلمة في بريطانيا وقد شارك في رحلة الحج السادسة لعام 1413 هـ: 100 مسلم ومسلمة بالإضافة إلى رحلات العمرة، ويقدم في هذه الرحلات عدد من الدروس والمحاضرات واللقاءات العلمية مع العلماء وطلاب العلم. وبعد: فهذا بعض من الأنشطة التي قام بها المنتدى الإسلامي إضافة إلى مشروعات متفرقة مثل كفالة الأيتام ومراكز الخياطة والمناهج الدراسية وغيرها.

ومن الجدير بالذكر أنه يجري الآن الإعداد لافتتاح أربعة معاهد لتأهيل الدعاة في كل من أثيوبيا وغانا والسودان وكينيا وذلك من أجل تربية وإعداد الدعاة المؤهلين لحمل راية أهل السنة والجماعة.

والله نسأل أن يبارك في هذه الجهود الخيرة، وأن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال وأن يوفقنا لإكمال هذه المسيرة على المنهج الصحيح الذي ارتضاه الله تعالى لعباده المؤمنين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مكاتب المنتدى الإسلامي في أفريقيا

الورقة الأخيرة تنوير أم تزوير؟!

أحمد العويمر

مر على أمتنا الإسلامية فترة حرجة منذ القرنين الماضيين عاشت فيها أسوأ مراحل حياتها حينما كانت في الغالب بعيدة عن أصالة إسلامها بعقيدته الصحيحة وأصوله الفكرية المعتبرة وحُكمت في جل أقطارها بزعامات لا تعرف الحكم بما أنزل الله وإنما حكمت بما توارثته من أحكام عشائرية أو أنظمة مستوردة فكان نتيجة ذلك أن ركبت العقول وانحسر المد الإسلامي، وتضاءل أثر العلماء العدول في التوجيه، مما انعكس على الأمة جمعاء بجهل مريع وانحطاط مزمن، بينما أوروبا تستيقظ، وتكشّر عن أنبيائها؛ لتستعمر جل ديار الإسلام حتى يعلن أحد قادتها أمام قبر القائد المسلم (صلاح الدين): «ها نحن عدنا يا صلاح الدين». وحينما دخلت

الخيال الأزهر لم يجد بعض العلماء في ذلك الوقت وسيلة للتحرك ضد الغزو القادم سوى التجمع لقراءة الأحزاب والأوراد التي لا تخلو من شركيات! وكانت النتيجة الحتمية فشلاً ذريعاً للأمة، وبداية السقوط في معركة المواجهة الحضارية. وحينما حز ذلك في نفوس بعض النابهين من أبناء الأمة رأوا أن السبيل لمواجهة ذلك الغزو ليس إلا فقه العصر ومعرفة علومه وفنونه وإعداد العدة للمواجهة وعندما اختيرت نخبة من أبناء مصر للدراسة في الغرب للتخصص في مختلف العلوم التقنية آنذاك، كان إمام البعثة (الشيخ رفاع الطهطاوي) والذي تأثر بالواقع الفرنسي وما يعيشه من نهضة وتقدم، فنقل الشيخ ما رآه ولمسه وأعجبه هناك من أنظمة وعادات وتقاليده في كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) داعياً لاقتفائها، وألف بعض الكتب ومنها (مناهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية) و(المرشد الأمين في تربية البنات والبنين).. لقد ذهب الشيخ إماماً وعاد داعية من دعاة التغريب فيما انتهى إليه من فكر، والسر والله أعلم أنه لم ينطلق من أسس عقديّة صحيحة أو منهجية علمية، وإلا لما نقل لنا بكل إعجاب صوراً من الدستور الفرنسي والأنظمة الغربية الكافرة داعياً لتطبيقها في بلاد المسلمين.

إنه بتلك الروح الانهزامية نكص بالفعل عن مهمته الدعوية، وهذا ما وضحه بجلاء العلامة (د. محمد محمد حسين) رحمه الله في (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) و(الإسلام والحضارة الغربية)، ولذلك لا نعجب حينما نرى أدعياء التنوير المعاصرين اليوم بعد فشلهم في مشروعهم العلماني لتغريب المجتمع العربي المعاصر، ودعايتهم المتواصلة له، نجدهم يلجأون لإعادة طبع كتب رموز التغريب القدامى الذين يسمونهم (رواد التنوير) أمثال: رفاع الطهطاوي، وقاسم أمين، وسلامة موسى، وغيرهم، والتي مع ما وضعوه لها من دعاية وطبعات شعبية ورخص في السعر، لم تجد سوى الكساد لأن أولئك لا يمثلون الإسلام الحقيقي وإنما هم الفئة المنهزمة الممثلة لفترة تبعية وتغريب أمتنا، وشبابنا اليوم يعرفون أولئك حق المعرفة فهم مهما لمعوا وأقيمت لهم المؤتمرات والندوات والدعايات الساذجة، يقفون في نظر الشباب المسلم ليسوا سوى دعاة تزوير لا دعاة تنوير.

تمت بعون الله ولله الحمد
